



في رهاب أهل البيت عليهم السلام

(٣١)

أسطورة تحريف القرآن



العنوان: في رحاب أهل البيت عليه السلام: الموقف الإسلامي

من أسطورة تحريف القرآن الكريم

المؤلف: السيد عبدالرحيم الموسوي - لجنة البحوث

الموضوع: علوم القرآن

الناشر: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ

المطبعة: ليلى

الكمية: ٥٠٠٠

ISBN: 964-8686-71-8

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

www.ahl-ul-bait.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليه السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعتبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتدين لخطى أهل البيت عليه السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليه السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في

الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليه السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة في باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات - التي أثيرت في عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنت وغيرها - متجنّبة الإشارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر يتكامل فيه العقول ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولابدّ أن نشير الى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت في لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل . ونتقدم بالشكر الجزيل لكل هؤلاء ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كلّ منهم جملة من هذه البحوث وابداء ملاحظاتهم القيّمة عنها.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

المعاونية الثقافية

الموقف الإسلامي من أسطورة تحريف القرآن الكريم

مقدمة

لقد أطبق المسلمون كافة على أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا هو كتاب الله الذي لم يأتِه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وهو كما وصفه - ربيب الرسالة - أمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقده ... وشعاعاً لا يُظلم ضوؤه وفرقاناً لا يُخمد برهانه وتبياناً لا تهدم أركانه.. فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره.. وأثافي الإسلام وبنياته.. وأعلام لا يعمى عنها السائرون.. جعله الله رياءً لعطش العلماء.. ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبالاً وثيقاً عروته، ومعلقاً منيعاً ذِروته، وعزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهديّاً لمن اتّمسّ به.. وعلماً لمن وعى.. وحكماً لمن قضى»^(١).

(١) راجع نهج البلاغة : الخطبة رقم ١٩٨، صبحي الصالح.

«واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يُضِلُّ، والمحدث الذي لا يكذب.. وإن الله سبحانه لم يعِظَ أحداً بمثل هذا القرآن، فإنّه حبل الله المتين وسببه الأمين، إذ فيه ربيع القلب وينايع العلم، وما للقلب جلاءً غيره»^(١).

إنّ مثل هذا الكتاب الذي ربّى الأجيال وصنع العظماء، وحضّر الأمم.. لم يتوان الحاقدون والحاسدون في عزل الأمة الإسلامية عنه، وإن كان ذلك بالتشكيك في سلامة نصوصه، ومحاولة النبز فيه بتسرّب التحريف إليه، وإلقاء الفتنة والعداوة والبغضاء بين المؤمنين به.. إنها الخطّة الشيطانية الماكرة لإحلال الزيغ محلّ الهدى، وحرمان الأجيال الصاعدة من هذا المعين الإلهي الزاخر. ولكن الله أبى إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون.

من هذا المنطلق لفهم كتاب الله سوف نتناول (أسطورة تحريف القرآن الكريم) بالبحث في قسمين، وسيكون القسم الأول منهما حول عوامل صيانة القرآن من التحريف. بينما يكون القسم الثاني حول أسطورة التحريف.

(١) نهج البلاغة : الخطبة رقم ١٧٦.

القسم الأول

عوامل صيانة القرآن من التحريف

والبحث في هذا القسم ينصب على جملة من النقاط :
أولاً: مستوى علاقة الأمة بالقرآن

لقد أحدث القرآن الكريم في بداية نزوله تغييراً وانقلاباً جذرياً في حياة الإنسان المسلم، من حيث بنائه الثقافي والنفسي والاجتماعي، وقد أدرك هذا الإنسان آنذاك بأن القرآن الكريم لم يكن نتيجة طبيعية لظروفه الحضارية، ليفسر ظاهرتيه وفق المنطق الأرضي، واصطبغها بالطابع البشري، ليعرض عنها بظرف مغاير آخر، أو يتعامل معها بنظرة هامشية، بل استحوز القرآن على كل العقل العربي ومشاعره، وأصبح رمزاً لوجوده وكرامته وثقافته ومستقبله، ومحوراً يتراءى بواسطته تفاصيل حياته الشخصية والعامة، واغناها بالفكر الإلهي الجديد.

ومن المعروف أنّ إنسان الجزيرة لم يمتلك عقيدة دينية، كما هي عند أهل الكتاب، أو حضارة تعتمد أصولاً فلسفية، كما هي الحضارة الرومانية أو الفارسية، ليحول هذا العامل أو ذاك دون قبول الرسالة سوى بعض القيم التي أطرها

الإسلام بالطابع المبدئي، والأخرى الخرافية التي سرعان ما تهاوت وتخلت عنها منبهاً ببلاغة القرآن وفكره، ويكفيك ما جاء في البخاري عن أبي رجاء العطاردي، قال: كنّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً، جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به^(١).

وقال الكلبي: (كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً وجعل الثلاث أثافي لقدره وإذا ارتحل تركه)^(٢).

إلى غير ذلك من ألوان القيم والأفكار الوثنية التي حاورها القرآن الكريم، وأثبت بطلانها كعبادة الملائكة ووأدهم للبنات.

كما عبر الإنسان العربي عن عجزه وحيرته أمام التحدي القرآني العظيم، فمن ذلك أن المغيرة استمع ذات يوم إلى النبي ﷺ في المسجد الحرام وهو يقرأ القرآن فانطلق إلى مجلس قومه بني مخزوم، فقال: والله لقد سمعت من محمدٍ

(١) صحيح البخاري ١١٩:٥.

(٢) الأصنام للكلبي: ٣٣.

آنفاً كلاماً ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمعذب وإنه ليعلو وما يُعلَى^(١).

فانتقل القرآن الكريم بالإنسان العربي من ظلمات الجهل والأمية والخرافة الى نور العلم والقيادة للبشرية تحت راية القرآن، فليس من المعقول وفي هذا الظرف بالذات أن تكون علاقته بكتاب الله علاقة هامشية وثانوية، فإذا كان الجواب بالنفي وأخذنا القول بأن القرآن قد احتل الصدارة في حياة الإنسان المسلم، فهذا بطبيعة الحال يشكّل عاملاً إيجابياً وداعياً يحركه نحو حمايته والدفاع عنه.

ثانياً: التصديّ الإلهي لحفظ القرآن وصيانته من التحريف
استدلّ العلماء والمحققون على عدم وقوع التحريف في القرآن الكريم، بجملة من الأدلة والشواهد القرآنية التي تثبت دخول اليد الإلهية في حفظ القرآن:
١ - قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾^(٢).

(١) البداية والنهاية ٧٨:٣ عن السيرة النبوية لابن هشام .

(٢) الحجر: ٩.

يتفق المفسرون قاطبة، بأن الذكر هنا هو القرآن الكريم. أما قوله تعالى: ﴿وإنّا له لحافظون﴾ وكما يقول المفسرون^(١)، أيضاً إن صيانة القرآن من التحريف تعتبر من أبرز مصاديق الحفظ، ولولا تكفل الله سبحانه وحفظه للقرآن الكريم، لتعرض الى الدس والتبديل والتحريف، كما تعرضت إليه الكتب السماوية من قبل، ولكن الخاصية الإلهية التي تمتع بها هذا الكتاب دون غيره من الكتب، جعلته يطرد كل غريب ويفرز كل شائبة تصيبه، ويبقى يتمتع بهذه الخاصية، فعليه يظل سالماً محفوظاً ومصوناً من كل باطل حتى قيام الساعة.

٢ - قوله تعالى: ﴿...وإنّه لكتاب عزيز* لا يأتيه الباطل من

(١) التفسير الكبير ١٩: ١٦٠ - ١٦١، والميزان ١٢: ١٠١ و ١٠٦، و اظهار الحق ٢: ٣٣ و ٣٢: ٩٠، الكشف ٢: ٥٧٢، والبيان للخوئي ٢٢٥ و ٢٢٦، مجمع البيان ٦: ٣٣١، الجامع لأحكام القرآن ١: ٤٨ و ٨٤، ولباب التأويل للخازن ٣: ٨٩، ومدارك التنزيل للنسفي بهامشه ٣: ١٨٩، تفسير القرآن العظيم ٢: ٥٤٧، البرهان للزركشي ٢: ١٢٧، مناهل العرفان ١: ١٤٤، فواتح الرحموت، بهامش المستقصى ٢: ٧٣، المحجة البيضاء ٢: ٢٦٣، أجوبة مسائل موسى جار الله: ٣١، مختصر التحفة الاثني عشرية: ٣٢، الاحتجاج ١: ٣٧٨ الهامش، عن كاشف الغطاء. أصول السرخسي ٢: ٧٩، تاريخ بغداد ٢: ٢٠٩، آلاء الرحمن: ٢٦، تفسير الصافي ١: ٥١.

بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد^(١).
 التحريف في هذه الآية يعتبر من أبرز مصاديق الباطل،
 وعليه فالقرآن مصون من التحريف، حيث ينفي بنفسه
 دخول الباطل فيه بجميع أقسامه، منذ نزوله وإلى يوم القيامة،
 لأنّه تنزيل من لدن حكيم حميد، بالإضافة إلى أنّه يشهد
 لدخول التحريف بالباطل الذي تنفيه الآية عن الكتاب
 بالعزة، وعزة الشيء تقتضي المحافظة عليه من التغيير
 والضياح والتلاعب، ومن التصرف فيه بما يشينه ويحط من
 كرامته وإلى الأبد.

٣ - قوله تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إنّ علينا
 جمعه وقرآنه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ ثم إنّ علينا بيانه^(٢).
 عن ابن عباس وغيره في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
 وَقُرْآنَهُ﴾ أن المعنى: إنّ علينا جمعه في صدرك حتى تحفظه
 وقرآنه أي تأليفه على ما نزل عليك، وقيل: إنّ علينا جمعه
 حتى تحفظه ويمكنك تلاوته فلا تخف فوت شيء منه^(٣).
 فهذه الأدلة القرآنية تثبت دخل يد القدرة في حماية

(١) فصلت: ٤١-٤٢.

(٢) القيامة: ١٦-١٩.

(٣) مجمع البيان للطبرسي ٢١٩: ١٠.

القرآن، وعلى نفي التحريف بكل صوره وأشكاله عن كتاب الله العزيز .

وقد يناقش الاستدلال في الآية الأولى بأمر ثلاثة:
الأمر الأول: إنه يكفي لصدق الحفظ المقرر في الآية، حفظه لدى بعض الأفراد، وإن كان الموجود بين أيدي سائر الناس قد نالته يد التحريف.

وقد أُجيب على ذلك: «أن هذا الكلام غير وارد، حيث إن الهدف من إنزال القرآن هو هداية الناس والتدبر فيه وفي آياته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١) وما إلى ذلك من الآيات التي تبين الهدف من إنزال القرآن، في هذا الاتجاه، أو في غيره.

وواضح أن ذلك لا يختص بفرد دون فرد، ولا بجماعة دون أخرى... وحفظ القرآن إنما هو لأجل ذلك، فإذا كان محرفاً لم يكن هدىً لأحدٍ ولا هو ممّا لا ريب فيه... إلخ. ولا يصح لوم الناس وتقريعهم لعدم تدبرهم القرآن.

ولعلك تقول: يمكن أن يكون التحريف أو الحذف قد نال القسم الذي يكون تحريفه أو حذفه غير مخل بالمعنى، ولا يؤثر في العقائد والأحكام ولا يمنع من أن تكون الهداية

(١) سورة محمد: ٢٤.

على أتمّها.

والجواب على ذلك:

أ- إن ذلك يحتاج إلى مَنْ يثبتته فمن قال إن التحريف قد نال هذه الناحية دون سواها! فكيف يمكن إثبات ذلك؟!

ب- إننا لا نجد مبرراً للمنافقين والذين في قلوبهم مرض وأعداء الإسلام لإرتكاب هذه الحماقة، فإنّ الداعي للدس والوضع والتحريف في الأمور الاعتقادية، وقصص الأنبياء، والأمم الخالية، وأحوال المبدأ والمعاد، وفي كثير من الأحكام وغيرها، هذه الدواعي أكثر وأوفر، مادام أن الهدف من الدس هو تفويت الغرض، واستبدال الهداية بضدها.

الأمر الثاني: وقد يناقش في الاستدلال أيضاً: بأنه لا ريب في وقوع التحريف في القرآن، بسبب اشتباه النسخ في كتابتهم للقرآن، وهذا يعني: أنّ الآية غير ناظرة للحفظ عن التحريف عند الناس.

والجواب: أنّ هذا النوع من التحريف لا يضر ولا يوجب صرف الآية عمّا لها من الظهور، وذلك لأنّ اشتباه النسخ، لا يوجب تحريف القرآن ما دام أنّه يبقى محفوظاً على حقيقته، ومعروفاً لدى الناس والأمة، الذين سرعان ما يكتشفون الخطأ، ويعرف ذلك حقاظه وحاملوه والمهتمون بشأنه،

وما أكثرهم^(١).

الأمر الثالث: أنّ التمسك بالقرآن لإثبات عدم تحريف القرآن باطل، لإمكان أن يكون التحريف قد نال نفس هذه الآية التي يستدلّ بها.

والجواب: أنّ هناك إجماعاً على عدم تحريف هذه الآية بالذات، وقد ذكروا المواضع التي ادّعوا حصول التغيير فيها، وليست هذه الآية منها...

ثالثاً: تصدّي الرسول ﷺ لصيانة القرآن من التحريف
لقد بالغ رسول الله ﷺ واهتم كثيراً بقضية حفظ القرآن وحمايته، وله ﷺ نشاطات وأساليب متعددة كلّها تؤدي إلى حفظ القرآن، وبقائه مصاناً من أن تناله يد التبديل والتغيير، منها:

أ- الحث على تلاوته وحفظه

فأما من ناحية حفظ القرآن وتعلمه وقراءته وتلاوة آياته بمجرد نزولها، فقد جاء عنه ﷺ: «من قرأ القرآن حتّى يستظهره ويحفظه، أدخله الله الجنة، وشفّعه في عشرة من أهل

(١) راجع حقائق هامة حول القرآن الكريم، السيد جعفر مرتضى العاملي:

بيته، كلهم قد وجبت لهم النار»^(١).

وعن عبادة بن الصامت قال: فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن^(٢).

وكان رسول الله ﷺ يحث الصحابة على ختم القرآن، فقد روي عنه ﷺ، أنه قال: «إنَّ لصاحب القرآن عند كل ختم دعوة مستجابة»^(٣). وعنه «صلى الله عليه وسلم»، قال: «من قرأ القرآن في سبع فذلك عمل المقربين، ومن قرأه في خمس فذلك عمل الصديقين»^(٤). وعنه «صلى الله عليه وسلم»، قال: «من شهد فاتحة الكتاب حين يستفتح كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله، ومن شهد خاتمته حين يختمه كان كمن شهد الغنائم»^(٥).

وعن عائشة عن رسول الله ﷺ «صلى الله عليه وسلم»، قال: «النظر في المصحف عبادة»^(٦).

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ «صلى الله عليه وسلم»، قال:

(١) مجمع البيان ١: ٨٥.

(٢) مسند أحمد ٥: ٣٢٤، مستدرك الحاكم ٣: ٣٥٦.

(٣) كنز العمال: ١ حديث ٢٢٨٠.

(٤) المصدر السابق: ١ حديث ٢٤١٧.

(٥) كنز العمال: ١ حديث ٢٤٣٠.

(٦) البرهان للزركشي ١: ٥٤٦.

«أديموا النظر في المصحف»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة، قالوا: وما حظها من العبادة يارسول الله؟ قال: النظر في المصحف، والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبه»^(٢). وقال «صلى الله عليه وسلم»: «أفضل عبادة أُمّتي تلاوة القرآن»^(٣).

ولوجود هذا الاهتمام في عهد رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وبعد وفاته في حفظ القرآن، فقد بلغ من كثرة حفاظه أن قُتل منهم سبعون في غزوة بئر معونة خلال حياته، وقتل أربعمئة وقيل سبعمئة منهم في حروب الإمامة عقيب وفاته^(٤).

ب - تدوين القرآن

هَيَّا رسول الله ﷺ جمعاً من الصحابة لغرض كتابة القرآن، فكان هؤلاء يكتبون ما يملئ عليهم من لسان الوحي، وكان ﷺ قد رتبهم لذلك.

عن زيد بن ثابت، قال: كنا عند رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

(١) مجمع الزوائد ٧: ١٧١.

(٢) كنز العمال: ١ حديث ٢٢٦٢.

(٣) المصدر السابق: ١ حديث ٢٤٠٧.

(٤) الإتيقان ١: ٢٥٠.

نُؤلف القرآن من الرقاع^(١).

وقد نصّ المؤرخون على أسماء كُتّاب الوحي وأنهاهم البعض إلى اثنين وأربعين رجلاً. وكان كلّما نزل شيء من القرآن أمر بكتابتة لساعته.

روى البراء: إنّه عندما نزل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾^(٢).

قال رسول الله «صلى الله عليه وسلم»: «ادعُ لي زيدا، وقل يجيء بالكُتف والدواة واللوح، ثم قال: اُكتب لا يستوي...»^(٣).

كما روي عن ابن عباس، قال: إنّ رسول الله «صلى الله عليه وسلم» كان إذا نزل عليه شيء، دعا من كان يكتب فيقول: «ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»^(٤).

ج - جمع القرآن في زمن النبي ﷺ

وكان النبي ﷺ يشرف بنفسه مباشرة على ما يُكتب ويراقبه ويصححه بمجرد نزول الوحي.

(١) المستدرک ٢: ٦١١.

(٢) النساء: ٩٥.

(٣) كنز العمال: ٢، حديث ٤٣٤٠.

(٤) المستدرک ٢: ٢٢٢، الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٢٧٢، تاريخ يعقوبي ٢: ٤٣، البرهان، الزركشي ١: ٣٠٤، مسند أحمد ١: ٥٧ و ٦٨، تفسير القرطبي ١: ٦٠.

كما روي عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب
لرسول الله «صلى الله عليه وسلم» وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته
برحاء شديدة فكنت أدخل عليه لقطعة الكتف أو كسرة،
فأكتب وهو يُملي عليّ فإذا فرغت قال: إقرأه، فأقرؤه، فإن كان
فيه سقط أقامه، ثم أخرج إلى الناس^(١).

ويؤيد ذلك بروايات أوردناها في بحثنا حول صيانة
القرآن الكريم من التحريف^(٢).

رابعاً: السنة النبوية تؤكد سلامة القرآن من التحريف
من الأدلة على صيانة القرآن من التحريف في منظور
مدرسة أهل البيت عليه السلام، مسألة عرض الأحاديث الواردة
عن الأئمة عليه السلام على القرآن الموجود في حالة تعارضها لا بل
مطلق الأحاديث، بمعنى أن يكون القرآن هو المقياس
لمعرفة صدق الحديث أو كذبه، فما وافق كتاب الله أخذ به وما
خالف أعرض عنه، فلو أن القرآن الموجود قد حرّف لما
صحّت هذه القاعدة التي قررها الأئمة عليه السلام، وعمل بها

(١) مجمع الزوائد ١: ١٥٢.

(٢) الجزء الأول من هذه المجموعة تحت عنوان: «صيانة القرآن الكريم

من التحريف»: ٢١ - ٣٠.

علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، ومن تلك الأحاديث التي وردت بهذا الشأن:

١ - قال الإمام الصادق عليه السلام ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ على كلِّ حقِّ حقيقة وعلى كلِّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»^(١).

والدلالة في هذا الحديث تتنافى مع احتمال التحريف، وذلك لأنَّ المعروض عليه يجب أن يكون مقطوعاً به لأنَّه المقياس الذي يفرق بين الحق والباطل وينبغي أن يرد الشك في نفس المقياس.

وعليه، فلو عرضت روايات التحريف على نفس ما قيل بسقوطه لتكون موافقة له، فهذا عرض على المقياس المشكوك فيه وهو دور باطل، وإن عرضت على غيره فهي تخالفه، حيث يقول: «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه».

ثم إنَّ العرض لا بد أن يكون على هذا الموجود المتواتر لدى عامة المسلمين، لما ذكرناه من أن المقياس لا بد أن يكون متواتراً مقطوعاً به، وروايات التحريف إذا عرضت على هذا الموجود كانت مخالفة له، لأنَّها تنفي سلامة هذا

(١) الكافي ١: ٦٩.

الموجود وتدل على أنه ليس ذلك الكتاب النازل على رسول الله ﷺ ، وهذا تكذيب صريح للكتاب ومخالفة عارمة مع القرآن^(١).

٢ - قول الرسول ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي...». وهذا من الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ ، ورواه علماء الجمهور بأسانيد متكثرة متواترة وبألفاظ مختلفة عن أكثر من ثلاثين صحابي وصحابية.

وهذا يقتضي أن يكون القرآن الكريم بحيث يصح إطلاق اسم الكتاب عليه، كما يقتضي أيضاً بقاء القرآن كما كان عليه على عهده ﷺ إلى يوم القيامة لتتم به، وبالعترة الهداية الأبدية للأمة الإسلامية، ما داموا متمسكين بهما، وإلا يلزم من ذلك القول بأن رسول الله ﷺ لا يعلم بما سيكون في أمته أو إخلاله بالنصح التام لأُمته، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين.

خامساً: حراسة المسلمين ودقتهم في حفظ القرآن الكريم
كان المسلمون بغاية من الدقة والعناية في حفظ وكتابة

(١) راجع صيانة القرآن من التحريف، محمد هادي معرفة: ٥١.

القرآن، بل وفي حراسته مخافة أن يتعرض إلى التغيير أو التبديل.

ويكفي أن نذكر: أن عثمان بن عفان، لم يجرأ على حذف آية منسوخة ويعتذر لابن الزبير عن ذلك، بأنه لا يريد أن يغير شيئاً من مكانه^(١).

ولعل ذلك كان منه بعد أن تعرض لذلك الموقف الصعب والامتحان العسير، حينما أصرّ على حذف الواو من آية الكنز ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فبشرهم بعذاب أليم^(٢). فأراد أن يحذف واو الذين؛ التي جعلناها آنفاً بين قوسين؛ وذلك من أجل أن يظهر: أن الآية خاصة بأهل الكتاب، ولا تشمل المسلمين. فتصدى أبي بن كعب - الصحابي المعروف - بشدة بالغة، وهدده بأنه لسوف يضع سيفه على عاتقه، إن فعل عثمان ذلك. الأمر الذي اضطرّ معه عثمان إلى التراجع^(٣).

وحينما أراد عمر بن الخطاب حذف الواو من قوله

(١) صحيح البخاري ٧٠:٣، وتفسير الميزان ١٢:١٢٤، ومباحث في علوم القرآن: ١٤٠ كلاهما نقلاً عن الاتقان ١:٦٠.

(٢) التوبة: ٣٤.

(٣) الدر المنثور ٣:٢٣٢، تفسير الميزان ٩:٢٥٦.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾^(١) - ولعله بهدف الحط من منزلة الأنصار، وتكريس المدح للمهاجرين - اعترض عليه زيد بن ثابت، وأيده أبي بن كعب^(٢)، فلم يمكنه أن ينفذ ما أراد.

كما أن عمر بن الخطاب نفسه، لا يجراً على أن يكتب آية الرجم، التي كان يقول ويؤكد بشدة بالغة على أنها من القرآن، ... لئلا يقال: إن عمر قد زاد في كتاب الله تعالى...

فإذا كان هذا حال عمر حيث لا يجراً على زيادة آية واحدة، بل وحتى حرف واحد، فهل يجراً غيره على التصرف بزيادة أو حذف آيات أو سور من القرآن أو تحريفها؟!

إن ذلك يكاد يلحق بالمتنعات والمحالات، فكيف يسوغ لأحد أن يدّعي وقوعه بهذه السهولة؟!^(٣).

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) الدر المنثور ٣: ٢٦٩ عن أبي عبيدة في فضائله، وسنيد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وكنز العمال ٢: ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨٥ عن أكثر هؤلاء، وعن الحاكم وأبي الشيخ في تفسيره وتاريخ القرآن للزنجاني: ٣٦ ومقدمة تفسير البرهان: ٤٢ والتمهيد في علوم القرآن ٢: ٤٤ عن تفسير الطبري ١١: ٧.

(٣) حقائق هامة حول القرآن الكريم، جعفر مرتضى العاملي: ٤٤.

القسم الثاني

أسطورة تحريف القرآن الكريم

وإذا ثبت أن القرآن الكريم قد تمتع بعوامل ربّانية وموضوعية، تشكّل السرّ في بقائه خالداً مصاناً من دون أن يمسّه التحريف والتغيير، كما هي الكتب السماوية الأخرى، بقي الحديث عن الاتجاه الثاني الذي أفردناه لأسطورة التحريف، وسوف يتوزع البحث في هذا الاتجاه، ضمن عدّة نقاط:

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للتحريف:

حرف الشيء: طرفه وجانبه، وتحريفه: إمالته والعدول به عن موضعه إلى طرفٍ أو جانبٍ. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾^(١). قال الزمخشري: أي على طرفٍ من الدين، لا في وسطه وقلبه، وهذا مثلاً لكونهم على قلقٍ واضطرابٍ في دينهم، لا على سكونٍ وطمأنينة^(٢). أما التحريف في الاصطلاح فله معانٍ كثيرة:

١ - التحريف الترتيبي: أي نقل الآية من مكانها إلى مكان

(١) الحج : ١١.

(٢) الكشاف ٣: ١٤٦.

آخر، سواء كان هذا النقل بتوقيف أو باجتهاد. فلا خلاف في وقوعه، إذكم من آية مكية بين آيات مدنية، والعكس.

٢ - التحريف المعنوي: ويراد به حمل اللفظ على معانٍ بعيدة عنه لم ترتبط بظاهره، مع مخالفتها للمشهور من تفسيره، وهذا النوع واقع في القرآن، وذلك عن طريق تأويله من غير علم، وهو محرم بالإجماع لقوله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»^(١)، وهو من التفسير بالرأي المنهي عنه، قال رسول الله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه وأصاب الحق فقد أخطأ»^(٢)، وهذا المعنى منحدر عن الأصل اللغوي لتحريف الكلام.

٣ - التحريف اللفظي: وهو على أقسام، منها التحريف بالزيادة والنقصان وهذا القسم على ثلاث أنحاء:

أ - تحريف الحروف أو الحركات: وهذا راجع إلى القراءات القرآنية، وهو باطل إلا في ألفاظ قليلة، كقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾^(٣) بجر لفظة الأرجل ونصبها، وغيرها مما لم يخالف أصول العربية وقراءة

(١) التبيان للطوسي ١: ٢٤، الإتقان للسيوطي ٤: ٢١٠.

(٢) التبيان للطوسي ١: ٤.

(٣) المائدة: ٦.

جمهور المسلمين، وورد به أثر صحيح.

ب - تحريف الكلمات: وهو إما أن يكون في أصل المصحف، وهو باطل بالإجماع، وإما أن تكون زيادة لغرض الإيضاح لما عساه يشكل في فهم المراد من اللفظ، وهو جائز بالاتفاق.

ج - تحريف الآيات والسور: وهو باطل بالإجماع.

٤ - التحريف بالزيادة: بمعنى أن بعض المصحف الذي بين أيدينا ليس من الكلام المنزل، والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين، بل هو مما عُلِمَ بطلانه بالضرورة، لأنه يعني أن بعض ما بين الدفتين ليس من القرآن، مما ينافي آيات التحدي والإعجاز، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(١).

٥ - التحريف بالنقص: بمعنى أن المصحف الذي بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، بأن يكون قد ضاع بعض القرآن على الناس إما عمداً، أو نسياناً، وقد يكون هذا البعض كلمة أو آية أو سورة، والتحريف بهذا المعنى هو موضوع البحث، حيث ادّعى البعض وقوعه في

(١) الإسراء: ٨٨

القرآن الكريم إستناداً إلى أحاديث هي بمجملها إما ضعيفة سنداً، أو مؤولة بوجه يُخرِجها عن افادة ذلك، وإلا فهي أحاديث وأخبار مدسوسة وباطلة، وقد أعرض عن محققو المسلمين على مرّ العصور^(١).

ثانياً: تصريحات علماء المسلمين بسلامة القرآن من التحريف

صرّح علماء المسلمين بشكل عام وعلماء الشيعة بشكل خاص عبر القرون كلّها بسلامة النصّ القرآني من التحريف، لكن مَنْ يتّهم الشيعة بالقول بالتحريف يهمل هذه التصريحات المهمة التي تكشف عن الموقف الموضوعي للمذهب الإمامي بشكل واضح.

وإليك نماذج من هذه التصريحات عبر القرون التالية حتى عصرنا هذا:

١- شيخ المحدثين أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق - المتوفى سنة ٣٨١ هـ - قال في رسالته التي وضعها

(١) أنظر البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي: ٢١٥، وصيانة القرآن من التحريف، محمد هادي معرفة: ١، ودفاع عن الكافي، ثامر العميدي: ٢٢٠.

لبيان معتقدات الشيعة الإمامية:

«اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ، هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك وعدد سوره على المعروف (١١٤) سورة. ثم قال: ومن نسب إلينا إنّنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كذاب»^(١).

٢ - الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، الملقّب بالمفيد، المتوفى سنة ٤١٣ هـ - .

قال: «وقد قال جماعة من أهل الإمامة، إنه لم ينقص من كلمة، ولا من آية، ولا من سورة، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويله، وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز.

وعندي أنّ هذا القول أشبه من مقال من ادّعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، وإليه أميل والله أسأل توفيقه للصواب»^(٢).

٣ - الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي،

(١) كتاب اعتقادات الإمامية المطبوع، مع شرح الباب الحادي عشر: ٩٣ - ٩٤.

(٢) أوائل المقالات في المذاهب المختارات: ٥٥ - ٥٦.

الملقب بعلم الهدى ، المتوفى سنة ٤٣٦ هـ . -
 قال: «إنَّ العلم بصحَّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان،
 والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة،
 وأشعار العرب المسطورة، فإنَّ العناية اشتدَّت والدواعي
 توقَّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدٍّ لم يبلغه في ما
 ذكرناه، لأنَّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية
 والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه
 وحمايته الغاية، حتَّى عرفوا كل شيءٍ اختلف فيه من إعرابه
 وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغتيراً أو
 منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟!».

وقال: «إنَّ العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحَّة نقله
 كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورةً من
 الكتب المصنَّفة ككتابي سيبويه والمزني، فإنَّ أهل العناية
 بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها، حتَّى
 لو أنَّ مُدخلاً أدخل في كتاب سيبويه باباً في النحو ليس من
 الكتاب لُعِرف ومُيِّز، وعلم أنَّه ملحق وليس في أصل
 الكتاب، وكذلك القول في كتاب المزني، ومعلوم أنَّ العناية
 بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه
 ودواوين الشعراء».

وقال: «إنَّ القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن...».

واستدلَّ على ذلك «بأنَّ القرآن كان يُدرَّس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان، حتَّى عيَّن على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنَّه كان يعرض على النبي ﷺ ويُتلا عليه، وأنَّ جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ وسلَّم عدَّة ختمات».

كل ذلك يدلُّ بأدنى تأمل على أنَّه كان مجموعاً مرتباً غير مبتورٍ ولا مبثوثٍ.

وذكر: «أنَّ من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتدُّ بخلافهم، فإنَّ الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا بصحتها، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته»^(١).

ولقد عرف واشتهر هذا الرأي عن الشريف المرتضى حتَّى ذكر ذلك عنه كبار علماء أهل السُّنة، وأضافوا أنَّه كان يُكفَّر من قال بتحريف القرآن، فقد نقل ابن حجر العسقلاني

(١) نقل هذا في مجمع البيان ١: ١٥٠، عن المسائل الطرابلسيات للسيد المرتضى.

عن ابن حزم قوله فيه: «كان من كبار المعتزلة الدعاة، وكان إمامياً، لكنّه يكفّر من عزم أنّ القرآن يُدّل أو زيد فيه، أو نقص منه، وكذا كان صاحبه أبو القاسم الرازي وأبو يعلى الطوسي»^(١).

٤ - الشيخ محمد بن الحسن أبو جعفر الطوسي، الملقّب بشيخ الطائفة - المتوفّى سنة ٤٦٠ هـ - قال في مقدمة تفسيره: «والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه وفنون أغراضه، وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى - رحمه الله تعالى - وهو الظاهر من الروايات، غير أنّّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها وترك التشاغل بها لأنّه يمكن تأويلها، ولو صحّت لما كان ذلك طعنًا على ما هو موجود بين الدفتين، فإنّ ذلك معلوم صحّته لا يعترضه أحد

(١) لسان الميزان ٤: ٢٢٣، ولا يخفى ما فيه من الخلط والغلط.

من الأمة ولا يدفعه»^(١).

٥ - الشيخ الفضل بن الحسن أبو علي الطبرسي، الملقب بأمين الإسلام - المتوفى سنة ٥٤٨ هـ - قال ما نصّه:
«... ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه، فإنّه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة: إنّ في القرآن تغييراً ونقصاناً... والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى - قدس الله روحه - واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات»^(٢).

٦ - السيد أبو القاسم علي بن طاووس الحلّي - المتوفى سنة ٦٦٤ هـ - فقد نصّ على أن القرآن مصون من الزيادة والنقصان، كما يقتضيه العقل والشرع^(٣).

واستنكر ما روى العامة عن عثمان وعائشة، من أن في القرآن لحنًا وخطأ، قائلًا: «ألا تعجب من قوم يتركون مثل علي بن أبي طالب، أفصح العرب بعد صاحب النبوة وأعلمهم

(١) التبيان في تفسير القرآن ٣:١.

(٢) مجمع البيان ١:١٥.

(٣) سعد السعود: ١٩٢.

بالقرآن والسنة ويسألون عائشة؟ أما يفهم أهل البصائر أنّ هذا لمجرد الحسد أو لغرض يبعد من صواب الموارد والمصادر... ولو ظفر اليهود والزنادقة بمسلم يعتقد في القرآن لحناً جعلوه حجة»^(١).

٧- العلامة الحلي - المتوفى سنة ٧٢٦هـ-

ومما قاله في بعض أجوبته حيث سئل: «ما يقول سيدنا في الكتاب العزيز هل يصح عند أصحابنا أنّه نقص منه شيء أو زيد فيه أو غير ترتيبه، أم لم يصح عندهم شيء من ذلك؟ الحق أنه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وأنّه لم يزد ولم ينقص، ونعوذ بالله تعالى من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجب التطرق إلى معجزة الرسول عليه وآله السلام المنقولة بالتواتر»^(٢).

٨- الشيخ زين الدين البياضي العاملي - المتوفى سنة

٨٧٧هـ-

قال: «علم بالضرورة تواتر القرآن بجملته وتفصيله، وكان التشديد في حفظه أتم، حتّى نازعوا في أسماء السور والتفسيرات. وإنّما اشتغل الأكثر عن حفظه بالتفكير في

(١) سعد السعود: ٢٦٧.

(٢) أجوبة المسائل المهنوية: ١٢١.

معانيه وأحكامه، ولو زيد فيه أو نقص لعلمه كل عاقل وإن لم يحفظه، لمخالفة فصاحته وأسلوبه»^(١).

٩- وألف الشيخ علي بن عبدالعالي الكركي العاملي، الملقب بالمحقق الثاني - المتوفى سنة ٩٤٠ هـ - رسالة في نفي النقيصة في القرآن الكريم.

وأجاب عن الأخبار التي تتضمن وجود النقص، قائلاً: «بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل والسنة المتواترة أو الإجماع، ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه، وجب طرحه»^(٢).

١٠- وبه صرح الشيخ فتح الله الكاشاني - المتوفى سنة ٩٨٨ هـ - في مقدمة تفسيره منهج الصادقين، وفي تفسير الآية المباركة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

١١- وهو صريح السيد نور الله التستري، المعروف بالقاضي الشهيد - المستشهد سنة ١٠١٩ هـ - في كتابه مصائب النواصب في الإمامة والكلام، حيث قال: «ما نسب إلى الشيعة الإمامية من القول بوقوع التغيير في

(١) الصراط المستقيم ٤٥:١.

(٢) مباحث في علوم القرآن - مخطوط. راجع شرح الوافية في علم الأصول، نقل أكثر عباراته.

القرآن ليس ممّا قال به جمهور الإمامية، إنّما قال به شريحة قليلة منهم، لا اعتداد بهم فيما بينهم».

١٢ - الشيخ محمد بن الحسين، الشهير ببهاء الدين العاملي، المتوفى سنة ١٠٣٠ هـ .

قال: «الصحيح أنّ القرآن العظيم محفوظ عن ذلك، زيادة كان أو نقصاناً، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام منه في بعض المواضع مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ - فِي عَلِيٍّ﴾ ، وغير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء»^(١).

١٣ - الشيخ محمد محسن الشهير بالفيض الكاشاني، المتوفى سنة ١٠١٩ هـ..

قال: «فلو تطرّق التحريف والتغيير في ألفاظ القرآن لم يبق لنا اعتماد على شيء منه، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن تكون محرّفة ومغيّرة، وتكون على خلاف ما أنزله الله، فلا يكون القرآن حجّة لنا، وتنتفي فائدته وفائدة الأمر باتّباعه والوصية به، وعرض الأخبار المتعارضة عليه. ثم استشهد - رحمه الله تعالى - بكلام الشيخ الصدوق

(١) آلاء الرحمن: ٢٦.

المتقدم، وبعض الأخبار^(١).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وإنّا له لحافظون﴾: «من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان»^(٢).

١٤- الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي - المتوفى سنة

١١٠٤ هـ .

قال: «إنّ من تتبّع الأخبار وتفحص التواريخ والآثار علم - علماً قطعياً - بأنّ القرآن قد بلغ أعلى درجات التواتر، وأنّ آلاف الصحابة كانوا يحفظونه ويتلونه، وأنّه كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً»^(٣).

١٥- العلامة محمد باقر المجلسي - المتوفى سنة ١١١١ هـ

قال: «غير أن الخبر قد صحّ عن أئمتنا عليهم السلام أنّهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين وأن لا نتعداه بلا زيادة فيه ولا نقصان منه.. وإنّما نهونا عليهم السلام عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف يزيد على الثابت في المصحف، لأنّه لم يأت على

(١) الوافي ١: ٢٧٣- ٢٧٤.

(٢) الصافي في تفسير القرآن ٣: ٣٤٨.

(٣) جاءت الرسالة بالفارسية مع ترجمتها العربية في الفصول المهمة لشرف الدين: ١٦٨.

التواتر وإتّما جاء بالآحاد، وقد يغلط الواحد فيما ينقله»^(١).
 ١٦ - السيد محمد مهدي الطباطبائي، الملقّب ببحر العلوم، المتوفّى سنة ١٢١٢ هـ.
 قال ما نصّه: «الكتاب هو القرآن الكريم والفرقان العظيم والضياء والنور والمعجز الباقي على مرّ الدهور، وهو الحقّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من لدن حكيم حميد، أنزله بلسان عربيّ مبين هدى للمتقين وبياناً للعالمين... ثم ذكر روايتي: «القرآن أربعة أرباع»، و «القرآن ثلاث أثلاث»، ثم قال: والوجه حمل الأثلاث والأرباع على مطلق الأقسام والأنواع وإن اختلف في المقدار...»^(٢).

١٧ - الشيخ الأكبر الشيخ جعفر، المعروف بكاشف الغطاء، المتوفّى سنة ١٢٢٨ هـ.
 قال ما نصّه: «لا ريب في أنّ القرآن محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان، كما دلّ عليه صريح الفرقان وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر، ما ورد من أخبار النقيصة تمنع البديهة من العمل بظاهرها، ولا سيّما ما فيه

(١) بحار الأنوار ٩٢: ٧٤.

(٢) الفوائد في علم الأصول مبحث حجية كتاب - مخطوط.

نقص ثلث القرآن أو كثير منه، فإنه لو كان كذلك لتواتر نقله، لتوفر الدواعي عليه، ولا تأخذه غير أهل الإسلام من أعظم المطاعن على الإسلام وأهله، ثم كيف يكون ذلك وكانوا شديدي المحافظة على ضبط آياته وحروفه؟!... فلا بد من تأويله بأحد وجوه»^(١).

١٨ - السيد محسن الأعرجي الكاظمي - المتوفى سنة

١٢٢٨ هـ -

قال ما ملخصه: إن القوم إنما ردّوا مصحف علي عليه السلام لما اشتمل عليه من التأويل والتفسير، وقد كان عادة منهم أن يكتبوا التأويل مع التنزيل، والذي يدلّ على ذلك قوله عليه السلام في جواب الثاني: «ولقد جئت بالكتاب كمالاً مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ». فإنه صريح في أنّ الذي جاءهم به ليس تنزيلاً كلاً^(٢).

١٩ - السيد محمد الطباطبائي - المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ -

قال ما ملخصه: «لا خلاف أنّ كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه، وأمّا في محلّه ووضعه وترتيبه، فذلك عند محقّقي أهل السّنة، للقطع بأنّ العادة

(١) كشف الغطاء في الفقه، كتاب القرآن: ٢٩٩.

(٢) شرح الوافية في علم الأصول، مخطوط.

تقضي بالتواتر في تفاصيل مثله، لأنّ هذا المعجز العظيم الذي هو أصل الدين القويم والصراط المستقيم ممّا توفّرت الدواعي على نقل جملة وتفصيله، فما نقل أحاداً ولم يتواتر يُقطع بأنّه ليس من القرآن قطعاً»^(١).

٢٠ - الإمام روح الله الموسوي الخميني - المتوفى سنة

١٤٠٩ هـ -

قال: «إنّ الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه، قراءةً وكتابةً، يقف على بطلان تلك الروايات المزعومة. وما ورد فيها من أخبار - حسبما تمسّكوا به - إمّا ضعيف لا يصلح للاستدلال به، أو موضوع تلوح عليه أمارات الوضع، أو غريب يقضي بالعجب، أو الصحيح منها فيرمى الى مسألة التأويل والتفسير، وأنّ التحريف إنّما حصل في ذلك، لا في لفظه وعباراته.

وتفصيل ذلك يحتاج إلى تأليف كتاب حافل ببيان تاريخ القرآن والمراحل التي قضاها طيلة قرون، ويتلخص في أن الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفتين، لا زيادة ولا نقصان، وأن الاختلاف في القراءات أمر حادث، ناشئ عن اختلاف الاجتهادات، من غير أن يمسّ جانب الوحي الذي نزل به

(١) مفاتيح الأصول، مبحث حجّية ظواهر الكتاب.

الروح الأمين على قلب سيد المرسلين»^(١).

٢١ - السيد أبو القاسم الخوئي - المتوفى ١٤١٣ هـ -

قال: «إن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أو من ألجأه إليه يجب القول به. والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته»^(٢).

٢٢ - الشيخ لطف الله الصافي الكليايگاني دام ظلّه .

قال: «فالقرآن الموجود بين الدفتين هو كتاب دين الفريقين وهو أصلهم الأول الذي تأتي بعده السنة المشروط صحة الاعتماد عليها بأن لا تكون مخالفة للقرآن، وهذا الأمر يحتاج به الجميع في الأصول والفروع وفي خلافاتهم ويعتمدون عليه وعلى السنة.

فكل الأمة - شيعة وسنة - يتمسكون بجميع محكماته، وفي متشابهاته أيضاً يقولون: آمنا به كل من عند ربنا»^(٣).

(١) تهذيب الأصول ٢: ١٦٥.

(٢) البيان في تفسير القرآن، الخوئي: ٢٥٩.

(٣) القرآن مصون عن التحريف: ٥، دار القرآن الكريم. وراجع للمزيد:

وبعد كشف القناع وإزاحة الغبار والتشويش المقصود عن الموقف الأصيل الذي تتبناه مدرسة أهل البيت عليهم السلام من مسألة شبهة التحريف، على أن اعتقادهم بالقرآن الموجود بأنه نفسه الذي تنزل على رسول الله ﷺ لنرى الآن موقف المذاهب الإسلامية من هذه المسألة.

ثالثاً: المذاهب الإسلامية تنفي التحريف أيضاً

إنّ المعروف من مذهب أهل السنة هو تنزيه القرآن الكريم عن الخطأ والنقصان، وصيانته عن التحريف، وبذلك صرّحوا في تفاسيرهم وفي كتب علوم القرآن، إلّا أنّه رويت في صحاحهم أحاديث يدلّ ظاهرها على التحريف، تمسك بها الحشوية منهم، فذهبوا إلى وقوع التحريف في القرآن تغييراً أو نقصاناً، كما أشار إلى ذلك الطبرسي في مقدمة تفسيره^(١)، وقد تقدّم قوله في تصريحات أعلام الإمامية. ولا شك أنّ ما كان ضعيفاً من هذه الأحاديث فهو خارج عن دائرة البحث، وأمّا التي صحّت عندهم سنداً، فهي أخبار

→ صيانة القرآن من التحريف للمعرفة: ٤٦ - ٧٠ والتحقيق في نفي التحريف للميلاني: ١٠ - ٢٦.

(١) مجمع البيان ٨٣:١.

آحاد، ولا يثبت القرآن بخبر الواحد، على أن بعضها محمولٌ على التفسير، أو الدعاء، أو السُّنة، أو الحديث القدسي، أو اختلاف القراءة، وأما ما لا يمكن تأويله على بعض الوجوه، فقد حمله بعضهم على نسخ التلاوة، أي قالوا بنسخه لفظاً وبقائه حكماً، وهذا الحمل باطلٌ، وهو تكريسٌ للقول بالتحريف، وقد نفاه أغلب محققيهم وعلمائهم على ما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى، وذهبوا إلى تكذيب وبطلان هذه الأحاديث لاستلزامها للبطلان، إذ أن القول بها يفضي إلى القدح في تواتر القرآن العظيم.

يقول عبدالرحمن الجزيري: (أما الأخبار التي فيها أن بعض القرآن المتواتر ليس منه، أو أن بعضاً منه قد حُذف، فالواجب على كل مسلم تكذيبها بتاتاً، والدعاء على راويها بسوء المصير)^(١).

ويقول ابن الخطيب: (على أن هذه الأحاديث وأمثالها، سواء صحَّ سندها أو لم يصحَّ فهي - على ضعفها وظهور بطلانها - قلَّةٌ لا يُعتدُّ بها، ما دام إلى جانبها إجماع الأمة، وتظاهر الأحاديث الصحيحة التي تدفعها وتظهر أغراض

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ٤: ٢٦٠.

الدين والمشرع بأجلنى مظاهرها^(١).
 وجماعة منهم قالوا بوضع هذه الأحاديث واختلاقها من
 قبل أعداء الإسلام المتربّصين به، يقول الحكيم الترمذي:
 «ما أرى مثل هذه الروايات إلّا من كيد الزنادقة».
 ويقول الدكتور مصطفى زيد: (وأما الآثار التي يحتجّون
 بها.. فمعظمها مروى عن عمر وعائشة، ونحن نستبعد صدور
 مثل هذه الآثار بالرغم من ورودها في الكتب الصحاح، وفي
 بعض هذه الروايات جاءت العبارات التي لا تتفق ومكانة
 عمر وعائشة، ممّا يجعلنا نطمئن إلى اختلاقها ودسّها على
 المسلمين)^(٢).

إذاً، فهم موافقون للشريعة الإمامية في القول بنفي
 التحريف، فيكون ذلك ممّا اتّفقت عليه كلمة المسلمين
 جميعاً، يقول الدكتور محمد التيجاني: «إنّ علماء السّنة
 وعلماء الشيعة من المحقّقين، قد أبطلوا مثل هذه الروايات
 واعتبروها شاذّة، وأثبتوا بالأدلة المقنعة بأنّ القرآن الذي
 بأيدينا هو نفس القرآن الذي أنزل على نبيّنا محمد ﷺ

(١) الفرقان: ١٦٣.

(٢) النسخ في القرآن ١: ٢٨٣.

وليس فيه زيادةٌ ولا نقصان ولا تبديل ولا تغيير»^(١).
فان قيل: إنّ الروايات التي ظاهرها نقصان القرآن، أو
وجود اللحن فيه، مخرّجة في كتب الصحاح عن بعض
الصحابة، وإنّ تكذيبها وإنكارها قد يوجب الطعن في صحّة
تلك الكتب، أو في عدالة الصحابة، نقول:

أولاً: إنّ القول بصحّة جميع الأحاديث المخرّجة في
كتابي مسلم والبخاري - وهما عمدة كتب الصحاح، وأنّ الأئمة
تلقّتهما بالقبول - غير مسلم، فلقد تكلم كثير من الحفاظ
وأئمة الجرح والتعديل في أحاديث موضوعة وباطلة
وضعيفة، فتكلم الدارقطني في أحاديث وعلّلها في (علل
الحديث)، وكذلك الضياء المقدسي في (غريب
الصحيحين)، والفيروزآبادي في (نقد الصحيح) وغيرهم،
وتكلّموا أيضاً في رجال رُوي عنهم في الصحيحين، وهم
مشهورون بالكذب والوضع والتدليس. وفيما يلي بعض
الأرقام والحقائق التي توضّح هذه المسألة بشكل جليّ:

١ - قد انتقد حفاظ الحديث البخاري في مئة وعشر
حديثاً، منها اثنين وثلاثون حديثاً وافقه مسلم فيها، وثمانية
وسبعون انفرد هو بها.

(١) لأكون مع الصادقين: ١٦٨-١٧٦.

٢- الذي انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمئة وبضعة وثلاثون رجلاً، المتكلم فيه بالضعف منهم ثمانون رجلاً، والذي انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمئة وعشرون رجلاً، المتكلم فيه بالضعف منهم مئة وستون رجلاً.

٣- الأحاديث المنتقدة المخرجة عندهما معاً بلغت مائتين وعشر حديثاً، اختص البخاري منها بأقل من ثمانين حديثاً، والباقي يختص بمسلم.

٤- هناك رواية يروي عنهم البخاري، ومسلم لا يرتضيهم ولا يروي عنهم، ومن أشهرهم عكرمة مولى ابن عباس.

٥- وقع في الصحيحين أحاديث متعارضة لا يمكن الجمع بينها، فلو أفادت علماً لزم تحقق النقيضين في الواقع، وهو محال، لذا أنكر العلماء مثل هذه الأحاديث وقالوا بطلانها.

وقد نص بعض ما ذكرناه أو بجملته متقدمو شيوخهم ومتأخروهم، كالنووي والرازي وكمال الدين بن الهمام، وأبي الوفاء القرشي، وأبي الفضل الأذفوي، والشيخ علي القاري، والشيخ محب الله بن عبد الشكور، والشيخ محمد رشيد رضا، وابن أمير الحاج، وصالح بن مهدي المقبلي، والشيخ محمود أبو رية، والدكتور أحمد أمين، والدكتور

أحمد محمّد شاكر وغيرهم، معترفين ومذعنين بحقيقة أنّ الأُمة لم تتلقَ أحاديث الصحيحين بالقبول، أو أنّه ليس من الواجب الديني الإيمان بكلّ ما جاء فيهما، فتبيّن أن جميع القول بالاجماع على صحّتهما لا نصيب له من الصّحة.

قال أبو الفضل الأدفوي: «إنّ قول الشيخ أبي عمرو بن الصلاح: إنّ الأُمة تلقت الكتابين بالقبول؛ إن أراد كلّ الأُمة فلا يخفى فساد ذلك. وإن أراد بالأُمة الذين وجدوا بعد الكتابين فهم بعض الأُمة. ثمّ إن أراد كلّ حديثٍ فيهما تُلقَى بالقبول من الناس كافةً فغير مستقيم، فقد تكلم جماعة من الحفاظ في أحاديثٍ فيهما، فتكلم الدارقطني في أحاديث وعّلّها، وتكلم ابن حزم في أحاديث كحديث شريك في الإسراء، وقال: أنّه خلط، ووقع في الصحيحين أحاديث متعارضة لا يمكن الجمع بينها، والقطع لا يقع التعارض فيه»^(١).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «ليس من أصول الدين، ولا من أركان الإسلام، أن يؤمن المسلم بكلّ حديث رواه البخاري مهما يكن موضوعه، بل لم يشترط أحد في صحّة الإسلام، ولا في معرفته التفصيلية، الاطلاع على صحيح

(١) التحقيق في نفي التحريف: ٣١٢.

البخاري والإقرار بكل ما فيه»^(١).

فاتضح أن ما يروّجه البعض من دعوى أن أحاديث نقصان القرآن ووجود اللحن فيه، مخرّجة في الصحاح، ولا ينبغي الطعن فيها، ممّا لا أساس له، لأنّه مخالف للإجماع والضرورة، ومحكم التنزيل، فليس كلّ حديث صحيح يجوز العمل به، فضلاً عن أن يكون العمل به واجباً، ورواية الأخبار الدالة على التحريف غير مُسلّمة عند أغلب محقّقي أهل السّنة إلّا عند القائلين بصحّة جميع ما في كتب الصحاح، ووجوب الإيمان بكلّ ما جاء فيها وهؤلاء هم الحشوية ممّن لا اعتداد بهم عند أئمة المذاهب.

ثانياً: دعوى الاجماع على عدالة جميع الصحابة باطلة لا أصل لها، إذ أنّ عمدة الأدلة القائمة على عدالتهم جميعاً ما روي أنّه ﷺ، قال: «أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم». وقد نصّ جمعٌ كبيرٌ من أعيان أهل السّنة على أنّه حديثٌ باطل موضوع^(٢)، هذا فضلاً عن معارضته للكتاب

(١) تفسير المنار ٢: ١٠٤-١٠٥.

(٢) أنظر لسان الميزان ٢: ١١٧-١١٨ و ١٣٧-١٣٨، ميزان الاعتدال ١: ٤١٣، كنز العمال ١: ١٩٨/١٠٠٢، نظرية عدالة الصحابة: ٢٠، الإمامة في أهم الكتب الكلامية وعقيدة الشيعة الإمامية: ٤٦٣-٥١٤.

والسنة والواقع التاريخي، فقد نصّت كثير من الآيات القرآنية على أنّ بعض الأصحاب ممّن هم حول النبي ﷺ خلال حياته، كانوا منافقين فسقة، كما في سورة التوبة وآل عمران والمنافقون، وأشارت بعض الآيات إلى ارتداد قسم منهم بعد وفاته ﷺ، كقوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾^(١)، ومما يدلّ على ارتداد بعضهم بعده ﷺ، حديث الحوض: «أنا فرطكم على الحوض، ولأننا نزعنا أقواماً ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب أصحابي. فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٢)، وقد عدّه الزبيدي الحديث السبعين من الأحاديث المتواترة، حيث رواه خمسون نفساً^(٣)، كما قامت الشواهد على جهل كثير من الأصحاب بالقرآن الكريم والأحكام الشرعية، كما أنّ بعضهم تسابوا وتباغضوا وتضاربوا وتقاتلوا، وحكت الآثار عن ارتكاب بعضهم الكبائر واقتراف السيئات كالزنا

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري ٩: ٩٠ و ٢٦ - ٢٩، صحيح مسلم ١: ٨١ - ١١٨ - ١٢٠ و

٤: ١٧٩٦ / ٣٢، مسند أحمد ٥: ٣٧ و ٤٤ و ٤٩ و ٧٣، سنن الترمذي ٤: ٤٨٦.

: ٢١٩٣، سنن أبي داود ٤: ٢٢١ - ٤٦٨٦.

(٣) التحقيق في نفي التحريف: ٣٤٢.

وشرب الخمر والربا وغير ذلك.

قال الرافعي: «لا يتوهم أحد أن نسبة بعض القول الى الصحابة نص في أن ذلك القول صحيح البتة، فإن الصحابة غير معصومين، وقد جاءت روايات صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم في فهم أشياء من القرآن على عهد رسول الله ﷺ» (١).

إذاً، فنسبة أحد الأقوال الدالة على تحريف القرآن الى أحد الصحابة، لا تعني التعبد به، أو التعسف في تأويله، بل إن إمكانية رده وإنكاره قائمة مادام شرط عدالة الجميع مرفوعاً. وتحصل لدينا أن الموقف موحد عند كبار علماء المدرستين إزاء شبهة التحريف، وذلك من خلال تصاريحهم التي تهاجم من يروج لهذه الأسطورة، أما الأخبار التي وردت في كتب الصحاح عند أهل السنة فسوف نتناولها في الفقرة التالية.

رابعاً: نماذج من روايات التحريف في كتب أهل السنة والجواب عليها

نذكر هنا جملة من الروايات الموجودة في كتب أهل السنة، ونبين ما ورد في تأويلها، وما قيل في بطلانها

(١) اعجاز القرآن: ٤٤.

وإنكارها ، وعلى هذه النماذج يقاس ما سواها، وهي على عدة طوائف نذكر منها طائفتين:

الطائفة الأولى: الروايات التي ذكرت سوراً أو آيات زُعم أنها كانت من القرآن وحُذِفَت منه، أو زعم البعض نسخ تلاوتها، أو أكلها الداجن، نذكر منها:

الف - الآيات والسور

١ - أن سورة الأحزاب تعدل سورة البقرة:

رُوي عن عمر وأبي بن كعب وعكرمة مولى ابن عباس: «أن سورة الأحزاب كانت تقارب سورة البقرة، أو هي أطول منها، وفيها كانت آية الرجم»^(١).

وعن حذيفة: «قرأت سورة الأحزاب على النبي ﷺ فنسيْتُ منها سبعين آية ما وجدتها»^(٢).

وقد حمل ابن الصلاح المدعى زيادته على التفسير، وحمله السيوطي وابن حزم على نسخ التلاوة، والمتأمل لهذه

(١) الإتيان ٨٢:٣، مسند أحمد ١٣٢:٥، المستدرک ٣٥٩:٤، السنن الكبرى

٢١١:٨، تفسير القرطبي ١١٣:١٤، الكشف ٥١٨:٣، مناهل العرفان

١١١:٢، الدر المنثور ٥٥٩:٦.

(٢) الدر المنثور ٥٥٩:٦.

الروايات يلاحظ وجود اختلاف فاحش بينها في مقدار ما كانت عليه سورة الأحزاب، الأمر الذي يشير إلى عدم صحة هذه النصوص وبطلانها، أما آية الرجم الواردة في الحديث الثاني فستأتي في القسم الرابع من هذه الطائفة.

٢ - لو كان لابن آدم واديان...

رُوي عن أبي موسى الأشعري أنه قال لقراء البصرة: «كنا نقرأ سورة نُشَبِّهها في الطول والشدة ببراءة فانسيتها، غير أنني حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»^(١).

وقد حمل ابن الصلاح هذا الحديث على السنة، قال: «إنّ هذا معروف في حديث النبي ﷺ، على أنّه من كلام الرسول، لا يحكيه عن رب العالمين في القرآن، ويؤيده حديث روي عن العباس بن سهل، قال: سمعت ابن الزبير على المنبر يقول: «قال رسول الله ﷺ: لو أنّ ابن آدم أُعطي واديان...» وعدّه الزبيدي الحديث الرابع والأربعين من الأحاديث المتواترة وقال: «رواه من الصحابة خمسة عشر نفساً»^(٢). ورواه أحمد في المسند عن أبي واقد الليثي على

(١) صحيح مسلم ٢: ٧٢٦ / ١٠٥٠.

(٢) مقدمتان في علوم القرآن: ٨٥-٨٨.

أنّه حديث قدسي^(١).

أما إخبار أبي موسى بأنّه كان ثمّة سورة تشبه براءة في الشدّة والطول، فلو كانت لحصل العلم بها، ولما غفل عنها رسول الله ﷺ، والصحابة وكتاب الوحي وحُفّاظه وقُرّأوه.

٣ - سورتا الخلع والحفد:

روي أنّ سورتي الخلع والحفد كانتا في مصحف ابن عباس وأبي ابن كعب وابن مسعود، وأنّ عمر بن الخطاب قنت بهما في الصلاة، وأنّ أبا موسى الأشعري كان يقرأهما... وهما:

أولاً: «اللّهمّ إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك».

ثانياً: «اللّهمّ إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إنّ عذابك بالكافرين ملحق»^(٢).

وقد حملهما الزرقاني والباقلاني والجزيري وغيرهم على الدعاء، وقال صاحب الانتصار: «إنّ كلام القنوت المروي: أنّ أبي ابن كعب أثبتّه في مصحفه، لم تقم الحجّة

(١) مسند أحمد ٥: ٢١٩.

(٢) مناهل العرفان ١: ٢٥٧، روح المعاني ١: ٢٥.

بأنه قرآن منزل، بل هو ضرب من الدعاء، ولو كان قرآنًا لنقل إلينا وحصل العلم بصحته» إلى أن قال: «ولم يصح ذلك عنه، وإنما روي عنه أنه أثبت في مصحفه، وقد أثبت في مصحفه ما ليس بقرآن من دعاء أو تأويل... الخ»^(١).

وقد روي هذا الدعاء في الدر المنثور والإتقان والسنن الكبرى والمصنف وغيرها من عديد من الروايات عن ابن الضرس والبيهقي ومحمد بن نصر، ولم يُصرّحوا بكونه قرآنًا^(٢).

٤ - الرابعة: آية الرجم:

روي بطرق متعددة أنّ عمر بن الخطاب، قال: «إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم.. والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبته، الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالا من الله، والله عزيز حكيم. فإنّا قد قرأناها»^(٣).

وأخرج ابن أشتة في المصاحف عن الليث بن سعد، قال:

(١) مناهل العرفان ١: ٢٦٤.

(٢) السنن الكبرى، البيهقي ٢: ٢١٠، المصنف ٣: ٢١٢.

(٣) المستدرک ٤: ٣٥٩ و ٣٦٠، مسند أحمد ١: ٢٣ و ٢٩ و ٣٦ و ٤٠ و ٥٠.

طبقات ابن سعد ٣: ٣٣٤، سنن الدارمي ٢: ١٧٩.

«إنَّ عمر أتى إلى زيدٍ بآية الرجم، فلم يكتبها زيد لأَنَّهُ كان وحده»^(١).

وقد حمل ابن حزم آية الرجم في المحلّى على أنّها ممّا نسخ لفظه وبقي حكمه، وهو حملٌ باطلٌ، لأنّها لو كانت منسوخة التلاوة لما جاء عمر ليكتبها في المصحف، وأنكر ابن ظفر في ينبوع عدّها ممّا نسخ تلاوة، وقال: «لأنّ خبر الواحد لا يُثبت القرآن»^(٢).

وحملها أبو جعفر النحاس على السّنة، وقال: «إِسناد الحديث صحيح، إلّا أنّه ليس حكمه حكم القرآن الذي نقله الجماعة عن الجماعة، ولكنها سُنّة ثابتة، وقد يقول الإنسان كنت أقرأ كذا لغير القرآن، والدليل على هذا أنّه قال: لولا أنّي أكره أن يقال زاد عمر في القرآن لزدته»^(٣).

٥ - آية الجهاد:

رُوي أنّ عمر قال لعبدالرحمن بن عوف: «ألم تجد فيما أنزل علينا، أن جاهدوا كما جاهدتم أوّل مرة، فأنا لا أجدها؟

(١) الاتقان ٢٠٦:٣.

(٢) البرهان للزركشي ٤٣:٢.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ٨.

قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن»^(١).

نقول: ألم يرووا في أحاديث جمع القرآن، أن الآية تُكتب بشهادة شاهدين من الصحابة على أنها مما أنزل الله في كتابه؟ فما منع عمر وعبدالرحمن بن عوف من الشهادة على أن الآية من القرآن وإثباتها فيه؟ فهذا دليل قاطع على وضع هذه الرواية، وإلا كيف سقطت هذه الآية المدعاة عن كتاب القرآن وحفاظه في طول البلاد وعرضها، ولم تبق إلا مع عمر وعبدالرحمن بن عوف؟

ب - النسخ ونسخ التلاوة

قسموا النسخ في الكتاب العزيز الى ثلاثة أقسام:

- ١ - نسخ الحكم دون التلاوة، وهذا هو القسم الذي نطق به محكم التنزيل، وهو المشهور بين العلماء والمفسرين، وهو أمر معقول مقبول، حيث إن الأحكام لم تنزل دفعة واحدة، بل نزلت تدريجياً لتألفها النفوس وتستسيغها العقول، فنسخت تلك الأحكام وبقيت ألفاظها، لأسرار تربوية وتشريعية، يعلمها الله تعالى.
- ٢ - نسخ التلاوة دون الحكم، وقد مثلوا له بآية الرجم،

(١) الإتيان ٣: ٨٤، كنز العمال: ٢ حديث ٤٧٤١.

فقالوا: إنّ هذه الآية كانت من القرآن ثمّ نسخت تلاوتها وبقي حكمها.

٣- نسخ التلاوة والحكم معاً، وقد مثّلوا له بآية الرضاع. وقد تقدّم في ثنايا البحث السابق أنّ البعض حمل قسماً من الروايات الدالة على النقصان على أنّها آيات نسخت تلاوتها وبقيت أحكامها، أو نسخت تلاوة وحكماً، وذلك تحاشياً من التسليم بها الذي يفضي الى القول بتحريف القرآن، وفراراً من ردّها وتكذيبها الذي يؤول الى الطعن في الكتب الصحاح والمسانيد المعتبرة، أو الطعن في الأعيان الذين نُقلت عنهم، ولا شك أنّ القول بالضررين الأخيرين من النسخ هو عين القول بالتحريف: وهو باطل لما يلي:

١- يستحيل عقلاً أن يرد النسخ على اللفظ دون الحكم، لأنّ الحكم لا بدّ له من لفظ يدلّ عليه، فإذا رفع اللفظ ما هو الدليل الذي يدلّ عليه؟ فالحكم تابع للفظ، ولا يمكن أن يرفع الأصل ويبقى التابع. نعم، اللهمّ إلا أن يبقى الحكم بالسنة.

٢- النسخ حكم، والحكم لابدّ أن يكون بالنص، ولا انفكاك بينهما، ولا دليل على نسخ النصوص التي حكمتها الآثار المتقدمة وسواها، إذ لم ينقل نسخها ولم يرد في

حديث عن النبي ﷺ في واحدٍ منها أنها منسوخة، والواجب يقتضي أن يبلغ الأمة بالنسخ كما بلغ بالنزول، وبما أن ذلك لم يحدث فالقول به باطل.

٣- الأخبار التي زعم نسخ تلاوتها أخبار آحاد، ولا تقوى دليلاً وبرهاناً على حصوله، إذ صرحوا باتفاق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد^(١)، ونسبه القطان إلى الجمهور^(٢)، وعَلَّه رحمة الله الهندي «بأن خبر الواحد إذا اقتضى عملاً ولم يوجد في الأدلة القاطعة ما يدل عليه وجب رده»^(٣)، بل إن الشافعي وأصحابه وأكثر أهل الظاهر، قد قطعوا بامتناع نسخ القرآن بالسنة المتواترة، وبهذا صرح أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، بل من قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه^(٤)، لذا لا تصح دعوى نسخ التلاوة مع بقاء الحكم أو بدونه، حتى لو ادّعي التواتر في أخبار النسخ، فضلاً عن كونها أخبار آحاد ضعيفة

(١) الموافقات للشاطبي ١٠٦:٣.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٣٧.

(٣) إظهار الحق ٩٠:٢.

(٤) الأحكام للآمدي ١٣٩:٣، أصول السرخسي ٦٧:٢.

الأسناد واهية المتن كما تقدّم^(١).

٤- أنكر بعض المعتزلة وعامة علماء الإمامية وأعلامهم الضربين الأخيرين من النسخ واعتبروهما نفس القول بالتحريف، وكذا أنكرهما أغلب علماء ومحققي أهل السنة المتقدمين منهم والمتأخرين، وحكى القاضي أبو بكر في الانتصار عن قوم، إنكار الضرب الثاني منه^(٢)، وأنكره أيضاً ابن ظفر في كتاب النبوع^(٣)، ونُقل عن أبي مسلم: «أنّ نسخ التلاوة ممنوع شرعاً»^(٤).

وفيما يلي بعض أقوال محققي أهل السنة في إبطال القول بنسخ التلاوة:

١- قال الخضري: «أنا لا أفهم معنى لآية أنزلها الله تعالى لتفيد حكماً ثم يرفعها مع بقاء حكمها، لأنّ القرآن يقصد منه إفادة الحكم والاعجاز معاً بنظمه، فما هي المصلحة في رفع آية مع بقاء حكمها؟ إنّ ذلك غير مفهوم، وقد أرى أنّه ليس

(١) أنظر سلامة القرآن من التحريف، إصدار مركز الرسالة: ٧٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤٧:٢.

(٣) المصدر السابق ٤٣:٢.

(٤) مناهل العرفان ١١٢:٢.

هناك ما يدعو إلى القول به»^(١).

٢ - وقال الدكتور صبحي الصالح: «أما الجرأة العجيبة ففي الضربين الثاني والثالث اللذين نسخت فيهما - بزعمهم - آيات معينة، إما مع نسخ أحكامها وإما دون نسخ أحكامها، والناظر في صنيعهم هذا سرعان ما يكتشف فيه خطأ مركباً، فتقسيم المسائل إلى أضرب إنما يصلح إذا كان لكل ضرب شواهد كثيرة أو كافية على الأقل ليتيسر استنباط قاعدة منها، وما لعشاق النسخ إلا شاهد أو اثنان على كل من هذين الضربين، وجميع ما ذكره منها أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها»^(٢).

٣ - وقال الدكتور مصطفى زيد: «ومن ثم يبقى منسوخ التلاوة باقي الحكم مجرد فرض لم يتحقق في واقعة واحدة، ولهذا نرفضه، ونرى أنه غير معقول ولا مقبول»^(٣).

٤ - وقال عبدالرحمن الجزيري: «إنّ الأخبار التي جاء فيها ذكر كلمة (من كتاب الله) على أنّها كانت فيه ونسخت في عهد رسول الله ﷺ فهذه لا يُطلق عليها أنّها قرآن، ولا

(١) التحقيق في نفي التحريف: ٢٧٩، صيانة القرآن من التحريف: ٣٠.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٦٥.

(٣) فتح المنان: ٢٢٩.

تُعطي حكم القرآن باتفاق، ثم ينظر إن كان يمكن تأويلها بما يخرجها عن كونها قرآنًا، فإنّ الإخبار بها يعطي حكم الحديث، وإن لم يمكن تأويلها فالذي اعتقده أنّها لا تصلح للدلالة على حكم شرعي، لأنّ دلالتها موقوفة على ثبوت صيغتها، وصيغتها يصحّ نفيها باتفاق، فكيف يمكن الاستدلال بها؟! فالخير كلّ الخير في ترك مثل هذه الروايات»^(١).

٥ - وقال ابن الخطيب: «أما ما يدّعون من نسخ تلاوة بعض الآيات مع بقاء حكمها، فأمر لا يقبله إنسان يحترم نفسه، ويقدر ما وهبه الله تعالى من نعمة العقل، إذ ما هي الحكمة من نسخ تلاوة آية مع بقاء حكمها؟ ما الحكمة من صدور قانون واجب التنفيذ ورفع ألفاظ هذا القانون مع بقاء العمل بأحكامه؟ ويستدلّون على باطلهم هذا بإيراد آية من هذا النوع يدّعون نسخها، ويعلم الله تعالى أنّها ليست من القرآن، ولو كانت لما أغفلها الصحابة رضوان الله عليهم، ولدونها السلف الصالح في مصاحفهم»^(٢).

الطائفة الثانية: الروايات الدالة على الخطأ

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ٤: ٢٦٠.

(٢) الفرقان: ١٥٧.

واللحن والتغيير.

الأولي: روي عن عثمان أنه قال: «إنّ في المصحف لحنًا، وستقيّمه العرب بألسنتها. فقليل له ألاّ تغيره؟ فقال: دعوه، فإنّه لا يحلّ حرامًا، ولا يحرم حلالًا»^(١).

حمل ابن أشتة اللحن الوارد في الحديث على الخطأ في اختيار ما هو أولى من الأحرف السبعة، وعلى أشياء خالف لفظها رسمها، وهذا الحمل غير مستقيم، والأولى منه هو ترك الرواية وتكذيبها وإنكارها، كما فعل الداني والرازي والنيسابوري وابن الأنباري والآلوسي والسخاوي والخازن والباقلاني وجماعة آخرون^(٢)، حيث صرّحوا أن هذه الرواية لا يصحّ بها دليل ولا تقوم بمثلها حجة، لأنّ إسنادها ضعيف، وفيه اضطراب وانقطاع وتخليط، ولأنّ المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله ﷺ فلا يمكن ثبوت اللحن فيه، ثم إن ما بين الدفتين هو كلام الله بإجماع المسلمين، ولا يجوز أن يكون كلام الله لحنًا وغلطًا، وقد ذهب عامة الصحابة

(١) الاتقان ٢: ٣٢٠-٣٢١.

(٢) تاريخ القرآن للكردي: ٦٥، التفسير الكبير ١١: ١٠٥، تفسير النيسابوري ٦: ٢٣ المطبوع في هامش تفسير الطبري، تفسير الخازن ١: ٤٢٢.

وسائر علماء الأمة من بعدهم إلى أنه لفظ صحيح ليس فيه أدنى خطأ من كاتب ولا من غيره، واستدلوا أيضاً على إنكار هذه الرواية، بقولهم: إن عثمان جعل للناس إماماً، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقييمه العرب بألسنتها، أو يؤخر شيئاً فاسداً ليصلحه غيره؟! وإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك - وهم الخيار وأهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك - فكيف يتركون في كتاب الله لحناً يصلحه غيرهم! ثم إن عثمان لم يكتب مصحفاً واحداً، بل كتب عدة مصاحف، فلم تأت المصاحف مختلفة قط، إلا فيما هو من وجوه القراءات والتلاوة دون الرسم، وليس ذلك باللحن»^(١).

والذي يهون الخطب في هذه الرواية ومثيلاتها الآتية أنها برواية عكرمة مولى ابن عباس، وكان من أعلام الضلال ودعاة السوء، وكان يرى رأي الخوارج، ويضرب به المثل في الكذب والافتراء، حتى قدح به الأكابر وكذبوه، أمثال ابن عمر ومجاهد وعطاء وابن سيرين ومالك بن أنس والشافعي وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد، وحرّم مالك الرواية عنه، وأعرض عنه مسلم^(٢).

(١) روح المعاني ٦: ١٣.

(٢) أنظر وفيات الأعيان ١: ٣١٩، ميزان الاعتدال ٣: ٩٣، المغني في الضعفاء

الثانية: روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسْلَمُوا﴾^(١) قال: «إنما هو (حتى تستأذِنُوا)، وأنَّ الأول خطأ من الكاتب»^(٢)، والمراد بالاستئناس هنا الاستعلام، أي حتى تستعلموا مَنْ في البيت، فهذه الرواية مكذوبة على ابن عباس ولا تصح عنه، لأن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ وصحَّ الإجماع فيها منذ عهد الرسول ﷺ وإلى الآن، فلا يعول على مثل هذه الرواية، قال الرازي: «إعلم أنَّ هذا القول من ابن عباس فيه نظر، لأنَّه يقتضي الطعن في القرآن الذي نُقل بالتواتر، ويقتضي صحَّة القرآن الذي لم يُنقل بالتواتر، وفتح هذين البابين يطرق الشك في كل القرآن، وإنَّه باطل»^(٣).

وقال أبو حيان: من روى عن ابن عباس أنَّ قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ خطأ أو وهم من الكاتب، وأنَّه قرأ (حتى تَسْتَأْذِنُوا) فهو كافر في الإسلام ملحد في الدين، وابن عباس

→ ٨٤:٢، الضعفاء الكبير ٣:٣٧٣، طبقات ابن سعد ٥:٢٨٧، تهذيب الكمال ٢٦٣:٧.

(١) النور: ٢٧.

(٢) الإتيقان ٢:٣٢٧، لباب التأويل ٣:٣٢٤، فتح الباري ١١:٧.

(٣) التفسير الكبير ٢٣:١٩٦.

بريء من هذا القول^(١).

الثالثة: روى عروة بن الزبير عن عائشة: أنه سألها عن قوله تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم﴾^(٢) ثم قال: ﴿والمقيمين﴾، وفي المائدة: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون﴾^(٣)، و ﴿إن هذان لساحران﴾^(٤) فقالت: يابن أختي، هذا عمل الكتاب، أخطأوا في الكتاب^(٥).

أما قوله تعالى: ﴿والمقيمين﴾ فإنه على العطف يكون (والمقيمون) كما في قراءة الحسن ومالك بن دينار، والذي في المصاحف وقراءة أبي الجمهور ﴿والمقيمين﴾ قال سيويه: «نُصب على المدح، أي وأعني المقيمين» وذكر له شواهد وأمثلة من كلام العرب^(٦).

قال الآلوسي: «ولا يلتفت إلى من زعم أن هذا من لحن القرآن، وأن الصواب (والمقيمون) بالواو.. إذ لا كلام في نقل

(١) البحر المحيط ٤: ٤٤٥.

(٢) النساء: ١٦٢.

(٣) المائدة: ٦٩.

(٤) طه: ٦٣.

(٥) الاتقان ٢: ٣٢٠.

(٦) الكشف ١: ٥٩٠، تفسير الآية ١٦٢ من سورة النساء.

النظم متواتراً، فلا يجوز اللحن فيه أصلاً^(١).
وأما قوله تعالى: ﴿والصابئون﴾ بالرفع فهو معطوف على
محلّ اسم إنّ.

قال الفراء: «ويجوز ذلك إذا كان الاسم ممّا لم يتبيّن فيه
الإعراب، كالمضمر والموصول، ومنه قول الشاعر:
فمن يك أمسى بالمدينة رحله

فاني وقيارٌ بها لغريب
برفع (قيار) عطفاً على محلّ ياء المتكلم^(٢) وقد أجاز
الكوفيون والبصريون الرفع في الآية، واستدلّوا بنظائر من
كلام العرب.

وقال صاحب المنار: «قد تجرأ بعض أعداء الإسلام على
دعوى وجود الغلط النحوي في القرآن، وعدّ رفع (الصابئين)
هنا من هذا الغلط، وهذا جمعٌ بين السخف والجهل، وإنّما
جاءت هذه الجرأة من الظاهر المتبادر من قواعد النحو، مع
جهل أو تجاهل أنّ النحو استنبط من اللغة، ولم تستنبط

(١) روح المعاني ٦: ١٣.

(٢) معاني القرآن ١: ٣١٠، مجمع البيان ٣: ٣٤٦، صيانة القرآن من
التحريف: ١٨٣.

اللغة منه»^(١).

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرَان﴾ فَإِنَّ القراءة التي عليها جمهور المسلمين هي تخفيف إن المكسور الهمزة، فتكون مخففة من الثقيلة غير عاملة، ورفع (هذان).

قال الزمخشري: «إِنْ هَذَا لَسَاحِرَان على قولك: إن زيد لمنطلق، واللام هي الفارقة بين إن النافية والمخففة من الثقيلة»^(٢)، وعليه فلا إشكال في هذه الآية، ولا لحن من الكتاب!

قال الرازي: «لما كان نقل هذه القراءة في الشهرة كنقل جميع القرآن، فلو حكمنا بطلانها جاز مثله في جميع القرآن، وذلك يفضي الى القدح في التواتر، والى القدح في كل القرآن، وإِنَّه باطل»^(٣).

الرابعة: روي أَنَّ الحجاج بن يوسف غيّر في المصحف اثني عشر موضعاً، منها:

١- كانت في سورة البقرة (لَمْ يَسَنَّ) فغَيَّرَهَا ﴿لَمْ

(١) تفسير المنار ٦: ٤٧٨.

(٢) الكشف ٣: ٧٢.

(٣) التفسير الكبير ٢٢: ٧٥.

يَسَنَّهُ ﴿١﴾ بالهاء.

٢ - وكانت في سورة المائدة (شريعةً ومنهاجاً) فغيرها
﴿شريعةً ومنهاجاً﴾ (٢).

٣ - وكانت في سورة يونس (هو الذي ينشركم) فغيرها
﴿هو الذي يسيركم﴾ (٣).

وهذه الأمثلة، وسواها منقولة من مصاحف السجستاني
برواية عباد بن صهيب^(٤)، وعباد متروك الحديث لدى أئمة
الحديث والجرح والتعديل، ومغموز فيه بالكذب
والاختلاق^(٥).

قال السيد الخوئي: «هذه الدعوى تشبه هذيان
المحمومين وخرافات المجانين والأطفال، فإنَّ الحجاج
واحدٌ من ولادة بني أمية، وهو أقصر باعاً وأصغر قدراً من أن
ينال القرآن بشيءٍ، بل هو أعجز من أن يغيّر شيئاً من الفروع
الإسلامية، فكيف يغير ما هو أساس الدين وقوام الشريعة؟!

(١) البقرة: ٢٥٩.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) يونس: ٢٢.

(٤) المصاحف: ٤٩.

(٥) أنظر المغني ٢: ٣٢٦-٣٣٧.

ومن أين له القدرة والنفوذ في جميع ممالك الإسلام وغيرها مع انتشار القرآن فيها؟! وكيف لم يذكر هذا الخطب العظيم مؤرخ في تاريخه؟! ولا ناقد في نقده مع ما فيه من الأهمية وكثرة الدواعي إلى نقله؟! وكيف لم يتعرض لنقله واحد من المسلمين في وقته؟ وكيف أغضى المسلمون عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجاج وانتهاء سلطته؟!

وهب أنه تمكن من جمع نسخ المصاحف جميعها، ولم تشدّ عن قدرته نسخة واحدة من أقطار المسلمين المتباعدة، فهل تمكن من إزالته عن صدور المسلمين وقلوب حفظة القرآن وعددهم في ذلك الوقت لا يحصيه إلا الله؟^(١).

وقد بينا في أدلة نفي التحريف أن خلفاء الصدر الأول لم يجرؤوا على حذف حرفٍ منه، وقد بلغ من دقة وتحري المسلمين أن يهددوا برفع السيف في وجه من يُقدّم على ذلك، فكيف يتمكن الحجاج بعد اشتهاار القرآن وتعدّد نسخه وحفاظه أن يغيّر اثني عشر موضعاً من كتاب الله على مرأى ومسمع جمهور المسلمين ومصاحفهم؟!

هذا حال الأخبار التي وردت في كتب الصحاح، فنلاحظ الأخبار التي وردت في كتب الإمامية والموقف منها.

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢١٩.

خامساً: نماذج من الروايات الموجودة في كتب الإمامية والجواب عليها:

سنورد هنا شطراً من الروايات الموجودة في كتب الشيعة الإمامية، والتي ادعى البعض ظهورها في النقصان أو دلالتها عليه، ونبين ما ورد في تأويلها وعدم صلاحيتها للدلالة على النقصان، وما قيل في بطلانها وردّها، وعلى هذه النماذج يقاس ما سواها.

الطائفة الأولى: الروايات التي ورد فيها لفظ التحريف، ومنها:

١- ما رُوي في الكافي بالإسناد عن علي بن سويد، قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام - وهو في الحبس كتاباً - وذكر جوابه عليه السلام، إلى أن قالوا: «أؤتمنوا على كتاب الله، فحرّفوه ويدّلوه»^(١).

٢- ما رواه ابن شهر آشوب في المناقب من خطبة أبي عبد الله الحسين الشهيد عليه السلام في يوم عاشوراء وفيها: «إنّما أنتم من طواغيت الأمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب»^(٢).

(١) الكافي ٨: ١٢٥، ح ٩٥.

(٢) بحار الأنوار ٨: ٤٥.

فمن الواضح أنَّ المراد بالتحريف هنا حمل الآيات على غير معانيها، وتحويلها عن مقاصدها الأصلية، بضروبٍ من التأويلات الباطلة والوجوه الفاسدة، دون دليلٍ قاطع، أو حجة واضحة، أو برهان ساطع، ومكاتبة الإمام عليه السلام لسعد الخير صريحة في الدلالة على أنَّ المراد بالتحريف هنا التأويل الباطل والتلاعب بالمعاني، قال عليه السلام: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرونه...»^(١) أي إنهم حافظوا على ألفاظه وعباراته، لكنهم أساءوا التأويل في معاني آياته.

الطائفة الثانية: الروايات الدالة على أن بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذُكرت فيها أسماء الأئمة عليهم السلام، ومنها:

١- ما روي في الكافي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله هكذا: ﴿وإن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ - في علي - فأتوا بسورةٍ من مثله»^{(٢)(٣)}.

٢- ما روي في الكافي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام

(١) الكافي ٨: ٥٣ ح ١٦.

(٢) البقرة: ٢٣.

(٣) الكافي ١: ٤١٧ ح ٢٦.

في قول الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ وَالْأُئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ - فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (١)(٢).

٣- ما رُوي في الكافي عن منخل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «نزل جبرئيل على محمد ﷺ بهذه الآية هكذا: يا أيها الذين أُوتُوا الكتاب آمِنُوا بما نَزَّلْنَا - في علي - نوراً مُبِيناً» (٣)(٤).
ويكفي في سقوط هذه الروايات عن درجة الاعتبار نص العلامة المجلسي في مرآة العقول على تضعيفها، ويغنيها عن النظر في أسانيدھا واحداً واحداً اعتراف المحدث الكاشاني بعدم صحتها^(٥)، وقول الشيخ البهائي: «ما اشتهر بين الناس من اسقاط اسم أمير المؤمنين عليه السلام من القرآن في بعض المواضع.. غير معتبر عند العلماء»^(٦)، وعلى فرض صحته يمكن حمل قوله: «هكذا نزلت» وقوله: «نزل جبرئيل على محمد ﷺ بهذه الآية هكذا» على أنه بهذا المعنى نزلت، وليس المراد أن الزيادة كانت في أصل القرآن

(١) الأحزاب: ٧١.

(٢) الكافي ٨: ٤١٤.

(٣) النساء: ٤٧.

(٤) تفسير نور الثقلين ١: ٤٨٧ نقلاً عن أصول الكافي.

(٥) الوافي ٢: ٢٧٣.

(٦) آلاء الرحمن ١: ٢٦.

ثم حُذفت.

قال السيد الخوئي: «إنّ بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه، فلا بدّ من حمل هذه الروايات على أنّ ذكر أسماء الأئمة في التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتمّ هذا الحمل فلا بدّ من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنة والأدلة المتقدمة على نفي التحريف»^(١).

وعلى فرض عدم الحمل على التفسير، فإنّ هذه الروايات معارضة بصحيفة أبي بصير المروية في الكافي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢). قال: فقال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهما السلام». فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله؟ قال عليه السلام: «فقولوا لهم: إنّ رسول الله ﷺ نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتّى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر لهم ذلك»^(٣). فتكون هذه الرواية حاكمة على جميع تلك

(١) البيان في تفسير القرآن: ٢٣٠.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) الكافي ١: ٢٨٦ ح ١.

الروايات وموضحة للمراد منها، ويضاف إلى ذلك أنّ المتخلفين عن بيعة أبي بكر لم يحتجوا بذكر اسم علي عليه السلام في القرآن، ولو كان له ذكر في الكتاب لكان ذلك أبلغ في الحجة، فهذا من الأدلة الواضحة على عدم ذكره في الآيات، ومما يضاف لهذه الطائفة من الروايات أيضاً:

١- ما رُوي في الكافي عن الأصمغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام»^(١).

٢- ما رُوي في تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام، قال: «لو قرئ القرآن كما أنزل لأفيتنا فيه مُسمّين»^(٢).

وقد صرح العلامة المجلسي رحمه الله بأن الحديث الأول مجهول، أمّا الحديث الثاني فقد رواه العياشي مرسلاً عن داود بن فرق، عمن أخبره، عنه عليه السلام وواضح ضعف هذا الإسناد، وعلى فرض صحته، فإنّ المراد بالتسمية هنا هو كون أسمائهم عليهم السلام مثبتة فيه على وجه التفسير، لا أنّها نزلت في أصل القرآن، أي لولا حذف بعض ما جاء من التأويل لآياته، وحذف ما أنزله الله تعالى تفسيراً له، وحذف موارد

(١) الكافي ٢: ٦٢٧ ح ٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٣ ح ٤.

النزول وغيرها، لألفيتنا فيه مُسمّين، أو لو أوّل كما أنزله الله تعالى وبدون كَدَر الأوهام وتلبيسات أهل الزيغ والباطل لألفيتنا فيه مُسمّين.

الطائفة الثالثة: الروايات الموهمة بوقوع التحريف في القرآن بالزيادة والنقصان، ومنها:

١- ما رواه العياشي في تفسيره عن مُيسّر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لولا أنّه زيد في كتاب الله ونقص منه، ما خفي حقنا على ذي حجب، ولو قد قام قائمنا فنطق صدّقه القرآن»^(١).

٢- ما رواه الكليني في الكافي والصفار في البصائر عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ما ادّعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كلّّه كما أنزل إلّا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلّا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام»^(٢).

٣- ما رواه الكليني في الكافي والصفار في البصائر عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه قال: «ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء»^(٣).

(١) تفسير العياشي ١: ١٣ ح ٦.

(٢) الكافي ١: ٢٢٨ / ١، بصائر الدرجات: ٢١٣ ح ٢.

(٣) الكافي ١: ٢٢٨ ح ٢، بصائر الدرجات: ٢١٣ ح ١.

وهذه الطائفة قاصرة أيضاً عن الدلالة على تحريف القرآن، فالحديث الأول من مراسيل العياشي، وهو مخالف للكتاب والسنة ولاجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ولا حرف واحد، وقد ادعى الاجماع جماعة كثيرون من الأئمة الأعلام منهم السيد المرتضى والشيخ الطوسي والشيخ الطبرسي وغيرهم. أما النقص المشار إليه في الحديث الأول فالمراد به نقصه من حيث عدم المعرفة بتأويله وعدم الاطلاع على باطنه، لا نقص آياته وكلماته وسوره، وقوله: «ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن» فإن الذي يصدق القائم (صلوات الله عليه) هو هذا القرآن الفعلي الموجود بين أيدي الناس، ولو كان محرفاً حقاً لم يصدقه القرآن، فمعنى ذلك أن الإمام الحجة (صلوات الله عليه) سوف يُظهر معاني القرآن على حقيقتها بحيث لا يبقى فيها أي لبس أو غموض، فيدرك كل ذي حجة أن القرآن يصدقه، فالمراد من الحديث الأول - على فرض صحته - أنهم قد حرّفوا معانيه ونقصوها وأدخلوا فيها ما ليس منها حتى ضاع الأمر على ذي الحجة.

أما الرواية الثانية ففي سندها عمرو بن أبي المقدام، وقد

ضعفه ابن الغضائري^(١)، وفي سند الرواية الثالثة المنخل بن جميل الأسدي، وقد قال عنه علماء الرجال: ضعيف، فاسد الرواية، متهم بالغلو، أضاف إليه الغلاة أحاديث كثيرة^(٢).

وعلى فرض صحة الحديثين فإنه يمكن توجيههما بمعنى آخر يساعد عليه اللفظ فيهما، قال السيد الطباطبائي: «قوله عليه السلام: إنَّ عنده جميع القرآن... إلى آخره»، الجملة وإن كانت ظاهرة في لفظ القرآن، ومشعرة بوقوع التحريف فيه، لكن تقييدها بقوله: «ظاهره وباطنه» يفيد أنَّ المراد هو العلم بجميع القرآن، من حيث معانيه الظاهرة على الفهم العادي، ومعانيه المستبطنة على الفهم العادي^(٣).

وقد أورد السيد عليّ المدني الشيرازي هذين الخبرين ضمن الأحاديث التي استشهد بها على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من أبنائه، علموا جميع ما في القرآن علماً قطعياً بتأييد إلهي، وإلهام رباني، وتعليم نبوي، وذكر أنَّ الأحاديث في ذلك متواترة بين الفريقين^(٤).

(١) أنظر مجمع الرجال ٤: ٢٥٧ و ٦: ١٣٩، رجال ابن داود: ٥١٦/٢٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التحقيق في نفي التحريف: ٦٢.

(٤) شرح الصحيفة السجادية: ٤٠١.

ويمكن حمل الروایتين أيضاً على معنى الزيادات الموجودة في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام والتي أخذها عمن لا ينطق عن الهوى تفسيراً، أو تنزيلاً من الله شرحاً للمراد، إلا أن هذه الزيادات ليست من القرآن الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغه إلى الأمة.

هذا خلاصة موقف علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام إزاء الأخبار التي وردت في كتبهم والتي يفهم منها وقوع التحريف، وقد اتضح تمسكهم بثبوت النص القرآني وبسلامته من التحريف. ويشهد لذلك تصريحات أئمة أهل البيت ودورهم التاريخي مع الأمة في حفظ القرآن الموجود بأيدينا كما سترى لاحقاً.

سادساً: تصريحات أئمة أهل البيت عليهم السلام وحثهم على الارتباط بالقرآن الموجود

وردت عدة أخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كلها تصرّح بأنهم يعتقدون بأن القرآن الموجود، هو نفس القرآن الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلو لاحظنا إرشاداتهم ووصاياهم وحواراتهم، ذات الموضوعات المختلفة، لوجدناها تجعل هذا القرآن محوراً

رئيسياً لها من حيث الاستدلال على الأحكام، أو من حيث التربية، أو تبيان القواعد التفسيرية، أو الفقهية ويضاف لهذا النشاط حثهم لتلاوة القرآن، وضرورة حفظه والتدبر في آياته، فهذه الألوان من الوصايا تكشف لنا مدى اهتمام الأئمة عليهم السلام بالقرآن الموجود، ومدى اعتمادهم عليه، وإليك جملة من تلك الروايات:

١- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يوصي بالقرآن ويبين علومه، وهذا يتضمن الإقرار بأن القرآن الموجود هو نفسه النازل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام:

«كتاب ربكم فيكم، مبيّناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفوائده، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسراً مجمله، ومبيّناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق في علمه، وموسّع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنّة نسخته، وواجب في السنّة أخذه، ومرخّص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه، من كبير أو عد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبوله في أدناه، موسّع في أقصاه»^(١).

(١) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

وقال عليه السلام: «أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾».

٢ - وقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب له إلى الحارث الهمداني رحمه الله: «وتمسك بحبل القرآن واستنصحه، وأحل حلاله، وحرّم حرامه»^(١).

٣ - وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «لقاح الإيمان تلاوة القرآن»^(٢).

وقال عليه السلام وهو يحث على التدبّر عند قراءة القرآن: «ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر. ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه»^(٣).

والتلاوة والتدبّر اللّذين أرادهما الإمام عليه السلام يتمان في هذا القرآن لا غيره.

٤ - الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يصف القرآن: «جعله الله ريثاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق

(١) شرح نهج البلاغة: ٣١٥ خ ١٩٨.

(٢) غرر الحكم: ٧٦٣٣ نقلاً.

(٣) بحار الأنوار ٩٢: ٢١١.

الصلحاء، ودواءٌ ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة»^(١).

٥ - الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام يصف القرآن: «إن هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور، فليجل جالٍ بضوئه، وليلجم الصفة، فإن التلقين حياة القلب البصير كما يمشي المستتير في الظلمات بالنور»^(٢).

٦ - وكان الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام يدعو عند ختمه القرآن.

فقد جاء في الدعاء: «اللهم فإذ أقدتنا المعونة على تلاوته وسهّلت جواسي ألسنتنا بحُسن عبارته فاجعلنا ممّن يرعاه حق رعايته ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته»^(٣).

٧ - وجاء عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: «إن الله يقول للمؤمنين ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ يعني في الفريضة خلف الإمام ﴿فاسمعوا﴾»^(٤).

وهذه وصية عامة للمسلمين فيما إذا قرأوا سوراً من هذا القرآن.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٩٩.

(٢) بحار الأنوار ٧٨: ١١٢.

(٣) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين: الدعاء ٤٢.

(٤) بحار الأنوار ٩٢: ٢٢٢.

٨- الإمام الباقر عليه السلام يصف القرآن: «إن للقرآن بطناً، وللبطن بطن، وله ظهر، وللظهر ظهر... وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه»^(١).

٩- عن علي بن سالم عن أبيه، قال: سألت الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن؟

فقال: «هو كلام الله وقول الله، وكتاب الله، ووحى الله وتنزيله، وهو الكتاب العزيز الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾»^(٢).

وقال عليه السلام: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها يوهب الكتب ويستبين الإيمان»^(٣).

١٠- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول في القرآن: «من فسّر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان

(١) المصدر السابق ٩٢: ٢٠.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٥٤٥.

(٣) بحار الأنوار ٩٢: ٢٧.

إثم عليه»^(١).

١١ - وقول الإمام الباقر عليه السلام: «من أوتر بالمعوذتين، وقل هو الله أحد، قيل له: يا عبد الله أبشر فقد قبل الله وترك»^(٢).

١٢ - وقول الإمام الباقر عليه السلام: «من ختم القرآن بمكة من جمعة إلى جمعة، وأقل من ذلك وأكثر، وختمه يوم الجمعة، كتب الله له من الأجر والحسنات من أول جمعة كانت إلى آخر جمعة تكون فيها، وإن ختمه في سائر الأيام فكذلك»^(٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث وما أكثرها، وقد ذكر الفقهاء - رضي الله تعالى عنهم - تفصيل ما يستحب أن يُقرأ في الصلوات الخمس من سور القرآن^(٤).

كما روى الشيخ الصدوق رحمته الله ثواب قراءة كل سورة من القرآن بحسب الأحاديث الواردة عن الأئمة عليهم السلام^(٥).

وبهذا القسم من الأحاديث استدلل بعض أكابر الإمامية كالشيخ الصدوق على ما ذهب إليه من عدم

(١) بحار الأنوار ٩٢: ١١٠.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ٦٠، ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١٥٧.

(٣) ثواب الأعمال: ١٢٥.

(٤) جواهر الكلام ٩: ٤٠٠ - ٤١٦.

(٥) ثواب الأعمال: ١٣٠ - ١٥٨.

تحريف القرآن^(١).

١٣ - قول الإمام الباقر عن أبيه عن جدّه عن رسول الله ﷺ :

«من قرأ عشر آيات في ليلة لم يُكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كُتب من الذاكرين، ومن قرأ مائة آية كُتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كُتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلاثمائة آية كُتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كُتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كُتب له قنطار...»^(٢).

١٤ - وقول الإمام الصادق عليه السلام: «... وعليكم بتلاوة القرآن، فإن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق، فكلما قرأ آية رقى درجة...»^(٣).

١٥ - وقول الإمام الصادق عليه السلام: «الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعه، أن يقرأ ليلة الجمعة بالجمعة وسبح اسم ربك الأعلى... فإذا فعل ذلك فإنما يعمل بعمل رسول الله ﷺ، وكان جزاؤه وثوابه على الله الجنة»^(٤).

(١) الاعتقادات للشيخ الصدوق: ٩٣.

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٩ - ٦٠، الكافي ٤٤٨: ٢.

(٣) الأمالي: ٣٥٩.

(٤) ثواب الأعمال: ١٤٦.

١٦- الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يُبين إشارات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لمَ أذنتَ لهم؟﴾: هذا ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة... وكذلك قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ وقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم﴾^(١).

١٧- وعن الريّان بن الصلت قال: قلت للرّضا عليه السلام يا بن رسول الله ما تقول في القرآن؟ فقال: «كلام الله، لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا»^(٢).

١٨- وجاء فيما كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين:

«وإنّ جميع ما جاء به محمد بن عبد الله هو الحق المبين، والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رُسل الله وأنبيائه وحججه. والتصديق بكتابه الصادق العزيز الذي ﴿لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ وأنه المهيمن على الكتب كلّها، وأنه حق من فاتحته إلى خاتمته، نؤمن بمحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، ووعدّه ووعدّه، وناسخه ومنسوخه، وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد من المخلوقين أن

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٢٠٢.

(٢) عيون أخبار الرضا ٢: ٥٧، الأُمالي: ٥٤٦.

يأتي بمثله»^(١).

فإذا كانت تصاريح كبار علماء المدرستين تؤكد سلامة القرآن من التحريف، بالإضافة إلى مواقفهم العلمية والموضوعية إزاء الأخبار التي وردت في كتبهم ونفيهم القاطع لهذه الأسطورة، إذاً فما هي الدواعي لإثارة تلك الشبهة؛ ثم ماهي الأيدي التي تخطط لهذا المشروع الذي يهدف بوضوح إلى ضرب الإسلام من الداخل وماهي الأدوات التي سخرت لتنفيذه والتي مازالت مصرّة بعناد على اجتاراه وتكراره بالرغم من تظافر الردود والاجابات على مثل هذه الشبهة والأساطير؟

سابعاً: البؤر المعادية التي تقف وراء إثارة شبهة التحريف
لقد اتضح لديك من خلال ذكر التصاريح السابقة، أن الموقف الإسلامي بمختلف مذاهبه قد أطبق على أن هذا القرآن الكريم هو نفسه الذي نزل على رسول الله ﷺ، وأن جميع المزاعم التي تذرّع بها الخصوم لا تمتلك الدليل العلمي، ومخالفة للمنطق الشرعي الذي نطق به الذكر الحكيم: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...﴾ حتى

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٣٠، الأملاني: ٥٤٦.

قيام الساعة.

إذاً لابد لنا أن نشخص بدقة ونحدد بوعي مسؤول، ماهي
البؤر التي تحرك بعض الأقلام لأجل اختراق الموقف
الإسلامي الموحد، وبلا شك نجد أنفسنا أمام طائفتين هما:
(١) المستشرقون:

أرّخ العلامة السيد مرتضى العسكري، لبداية الطعن في
القرآن الكريم وبما عاناه حملة الإسلام من شأن الحاقدين
بعد رسول الله ﷺ فقال:

«وفي مقدمتهم يوحنا الدمشقي - الذي كان يعيش في
كنف البلاد الأموي - أول من تصدّى للإسلام هو وخليفته
ثيودر أبو قرّة وبدأ بالتلاعب الجدلي البيزنطي الذي كان
يتقنه المسيحيون المتأثرون بالفلسفات اليونانية وأشار
مسائل جدلية مثل: هل كلام الله مخلوق أم غير مخلوق؟ وهل
روح الله مخلوق أم غير مخلوق؟ والذي انتشر بعد ذلك بين
المسلمين. وأنّ الوحي الذي ادعاه الرسول ﷺ (كذا) كان
يصاغ حسب رغباته الجنسية، مشيراً إلى قصة زيد وزينب
والتي اعتبرت بعد ذلك عند المسيحيين من الأساليب
الجدلية التي يتفننون بها كيداً للإسلام.

ومثل قوله: إنّ المفاهيم منقولة من التوراة والإنجيل،

وتأثر به بيزنطيون حاقدون على الإسلام، رافضون للقرآن مثل نيكيتاس وزيجابينوس في كتاباتهما المتأثرة بالدمشقي، ثم أخذ منه اللاتين الغربيون وردّدوا أقواله بأساليب مختلفة، وكان ذلك إبان الحروب الصليبية، وعندما أدرك المسيحيون قوة المسلمين الذين يدينون بالإسلام ويحملون القرآن، شنوا حملة ضدهم، وكان الرائد لهذه الحملة بطرس الكلوني الذي ذهب إلى إسبانيا وترأس إدارة دير كلوني سنوات (١٠٩٤-١١٥٦ م) ونادى بحرب المسلمين عسكرياً وفكرياً، ويكتب للملوك الصليبيين: إنّ الراهب ينبغي أن يكون مسيحياً في فضائله عسكرياً في أعماله، وإن تنصير المسلمين أنفع للمسيحية من قتلهم وبينما كان الصليبي همه فتح بيت المقدس وذبح المسلمين كان يتمنى أن يصحب هذا الفتح المجيد فتح روعي بتنصير المسلمين. ويرى أن سيف الكنيسة الحقيقي سيف التبشير بالإنجيل والتنصير، وليس سيف القتل فحسب، وأنّ الحروب الصليبية كانت تهدف أولاً تنصير المسلمين وتحوّلت أخيراً إلى عمل سياسي وعسكري فقط فاقدة بذلك مهمتها الأساسية، وأن السبب في ذلك عدم معرفة المسيحيين بحقيقة الدين الإسلامي، ولذلك أوجب على

نفسه ومن استطاع أن يؤثر فيه، دراسة الدين الإسلامي ومحااجة المسلمين واقناعهم بالتخلي عن الإسلام والدخول في المسيحية، بدلاً من ذبح المسلمين في محبة الرب ورفع شعار الكلمة بدلاً من السيف، وأنا أقرب منك بالكلمة وليس بالقوة، وبالتفاهم والمحبة وليس بالكره والسلام، كما يفعل قومنا دائماً.

وقد درست الحرب الصليبية التي انتهت، وأهملت دراسة الحرب الفكرية والتي لازالت قائمة.

وفي هذا السبيل سافر بطرس الكلوني الى اسبانيا سنة ١١٤٢م وتفقد شؤون أديرتها، وحصل من الامبراطور الفونس السابع الذي كان يحاصر المرابطين في (Coria) لمشاريعه أملاكاً واسعة وأموالاً جمّة، ولمعرفة الإسلام كلّف بطرس في هذه السفرة جمعاً من المترجمين لدراسة بعض الكتب وترجمتها، وموّل مشروع الترجمة واختار لذلك كتاباً ألفها يهود متنصرون ونصارى مستعربون، والتي كانت أبعد ما تكون عن الإسلام الحقيقي، بل كانت أساطير ملفقة كما وصى بترجمة القرآن الكريم، استعداداً للهجوم عليه وتفنيدته وتحريف كلماته ومعانيه، والاستهزاء بما جاء فيه والتشقي من المسلمين، وكان من الكتب التي اختارها بطرس

للت ترجمة كتب من مدرسة للترجمة من العربية الى اللاتينية، أسسها القس رايموند في كنيسة بطليطلة سنوات (١١٢٥ -١١٥١م) بعد سقوط المدينة بيد الفونس السادس، بعد أن كانت مركزاً حضارياً إسلامياً سنوات (٧١٢ -١٠٨٥م) وكان من جملة ماترجموا كتب الفارابي وابن سينا والغزالي وارسطاطليس وغيرهم.

واجتمع بطرس الكلوني عام (١١٤٢ م) مع القس رايموند في سلامانكا وموّل مشروعه للترجمة، وكلف بطرس خمسة مترجمين بترجمة مجموعة طليطلة وحفظت بدير كلوني أربعمئة سنة، ونشرت المجموعة بعد اختراع الطباعة في بازل عام (١٥٤٣ م).

وبعد ذكره لمجموعة من المترجمين المستشرقين، ذكر خلاصة الأعمال الاستشراقية لترجمات القرآن الكريم، مسلطاً الضوء على أهم المراحل التي مرت بها، فقال: يمكن القول بأن الترجمات الأوروبية قد مرت بعدة مراحل متداخلة: ١ - من القرن الحادي عشر حتى الثامن عشر:

أ - مرحلة الترجمة من العربية الى اللاتينية (بذرة الاستشراق).

ب - مرحلة الترجمة من اللاتينية الى اللغات الاوربية

(أكثر الترجمات سوءاً).

٢- في العصر الحديث:

أ- مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة الى اللغات الاوربية، بواسطة المستشرقين وأضرابهم، بعد أن اشتد ساعد الاستشراق وعرف العربية ودرس كتبها.

ب- مرحلة دخول المسلمين مؤخراً في ميدان الترجمة الى اللغات الأوربية مع ليبرالية العصر، والنظرة العلمية المجردة لموضوع الترجمة، بصرف النظر عن مشاعر المترجم الدينية، إن لم يكن مسلماً.

وفي المرحلة الأخيرة فقط ، يمكن القول بأن هناك بعض الترجمات القليلة تعد على أصابع اليد الواحدة في ترجمات اللغات الاوربية مجتمعة، والتي زادت على ٤٥٠ ترجمة كاملة غير مئات من الترجمات الجزئية، التي يمكن القول بأنها على شيء من الموضوعية.

والتقسيم السابق يبين المراحل التي مرت بها الترجمات في البلدان الاوربية وذلك بدءاً بالترجمة اللاتينية الأولى التي أشعلت الفتيل.

ولكن هناك تقسيم آخر يمثل وجهة النظر المسيحية اللاتينية.

فقد مرت الترجمات والكتابات المسيحية المختلفة عن القرآن الكريم بعدة مراحل:

١- من عام (١١٠٠ - ١٢٥٠ م) وفيها ترجم القرآن الكريم الى اللاتينية كما سبق، وفي هذه الفترة زاد الاهتمام بدراسة الإسلام بين الرهبان والدارسين.

٢- من عام (١٢٥٠ - ١٤٠٠ م) بدأ تراجع الحملات الصليبية واندحارها، ممّا حدا بالكنيسة بأن تزيد من نغمة العداء للإسلام، حفاظاً على شعلة الصليبية متأججة، وتعويضاً عن التراجع ويمكن ملاحظة ذلك في كتاباتهم خلال هذه المدة.

٣- من عام (١٤٠٠ - ١٥٠٠ م) خمدت جذور التحريض الى حين، ثم استعرت وتأججت مرة أخرى عام ١٤٥٣ م وهو عام فتح القسطنطينية الذي نكأ الجروح وأيقظ الحقد الصليبي مرة أخرى، بعد أن هدأ قليلاً بعد انهزاماته في حروبه الصليبية.

ومنذ الترجمة اللاتينية الكلونية الأولى، والمسيحية تعيش في وهم اكتشفوه بعد اطلاعهم على القرآن الكريم. فقد وجدوا أن المسلمين يؤمنون بعيسى وموسى ومريم وإبراهيم وآدم وحواء، وأن هناك كثيراً من التشابه بين

الإسلام والمسيحية، وأن الإسلام ما هو إلا صورة مشوهة من المسيحية (كذا).

ومن هذا المنطلق فإنه من الممكن دراسة القرآن وتنقيته مما شابه من انحرافات عن المسيحية، فإنه يمكن العودة بالمسلمين الى حظيرة المسيحية.

وقد ظهرت هذه الفكرة بصورة واضحة في كتابات نقولاس الكوزي، وخاصة في كتابه «تنقية القرآن Cribratio Alcorani وقد اعتمد في كتاباته هذه على الترجمة اللاتينية المحفوظة في دير كلوني في ذلك الوقت، والمحفوظة حالياً في مكتبة الأسينال في باريس وممهورة بتوقيع المترجم Bibliontheque de L Arsenal - Paris.

كما اعتمد أيضاً على كتابات أخرى كثيرة ظهرت عن القرآن الكريم أهمها كتابه «ريكولدوس الفلورنسي الدومينيكانى» Ricoldus of Monte Crusis بعنوان Propunaculum Fidei والمطبوع في فينسيا عام ١٦٠٩م. وتحت تأثير هذا المفهوم، وهو أن المسلم هو قاب قوسين أو أدنى من المسيحية تجرأ البابا بيوس الثاني فأرسل رسالة للسلطان محمد الثاني يدعوهُ الى النصرانية ويصبح خليفة لأباطرة بيزنطة.

ولما لم يكلف السلطان خاطره بالرد على هذه الدعوة أخذ الخيال يداعب الداعي باقتراب نصر سهل في الشرق بعد الكارثة التي حاقت بحروبهم الصليبية.

وفي النهاية فإنه يمكن القول بأن ترجمة القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية لغة الكنيسة وبأيدي رجالها لم تكن عملاً أكاديمياً أثاره حب الاستطلاع فقط ، بل كانت عن سابق تخطيط وترصد احتاج الى تنفيذه إرسال البعثات لسنين عديدة لدراسة العربية، ثم اعتكاف طويل للترجمة بتوجيهات أعلى سلطة دينية مسيحية وبمساعدة وإشراف رئيس رهبان أكبر رهبانية في ذلك الوقت، وأقصد بها رهبانية كلوني، والأخطر من هذا هو البحث عما ظنوه اختلافاً أو أخطاء أو ما شابه من الظنون، فكان الرد على القرآن والطعن فيه أهم عندهم من الترجمة ، حتى أن ماراكيوس في طعنه للقرآن كان جاداً في استكمال مطاعنه وردوده التي فاقت ترجمة سابقه وردودهم ، وأشار إليها جورج سال مشمئزاً مما حوت مفضلاً عليها موضوعية مهذبة ماكرة قد تكون أفضل في التعامل مع المسلمين.

قال هذا الماكر في ترجمته:

إنني لم أسمح لنفسي عند التحدث عن محمد أو قرآنه أن

استعمل السباب المشين والتعابير اللا أخلاقية ، والتي ظنها الكثيرون ممن كتبوا ضده أنها أقوى أسلوب للمجادلة. ولكن العكس هو الصحيح ، فقد وجدت أنه من الملائم معالجة الموضوع بالحكمة والأدب، بل والموافقة على الأساسيات التي أعتقد أنها تستحق الموافقة، كمدى الجريمة الأبدية التي ارتكبتها بفرضه ديناً مزيفاً على البشرية... جورج سال ١٨٧٤م^(١).

وأخيراً لا بد أن نذكر خطأ ما تقوله دائرة المعارف الإسلامية الألمانية حول موضوع التحريف التي حاولت أن تدعيه بخبث عبر منهجها المشبوه، حين قالت: «وقد أثبتت تهمة التحريف فيما وقع من جدل بين الفرق الإسلامية المختلفة. فالشيعة يصرون عادة على أن أهل السنة قد حذفوا وأثبتوا آيات في القرآن، بغية محو أو تفنيده ما جاء فيه من الشواهد معزراً لمذهبهم. وقد كال أهل السنة بطبيعة الحال نفس التهمة للشيعة»؟^(٢). وقد عرفت أن الأمر في الواقع ليس كذلك، بل كان وما يزال موقف مدرسة أهل البيت عليه السلام وعامة مذاهب المسلمين هو سلامة النص القرآني من التحريف طبعاً.

(١) القرآن الكريم وروايات المدرستين، السيد مرتضى العسكري ٧٠٥:٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٦٠٨:٤.

٢ - الوهابية:

وجاء شردمة لا يمثلون الطائفتين فردّوا نغمة الاستشراق، وفهم احسان الهي ظهير ومن لفّ لفّه ماهو المطلوب من هذا الايحاء الشيطاني الغربي، وتأكد من أنّ المراد هو الطعن والتشكيك بأقدس أصل إسلامي، فأبدئ حرصه بتباكيه الشديد على أهل السنّة، عن طريق الطعن بمدرسة أهل البيت، وبهذا يكون قد حقق غرضه الخبيث من أن القرآن الكريم قد تعرض للتحريف، فقال:

إنّ الكليني روى من أئمتّه المعصومين أنهم كانوا يقولون بالتحريف في القرآن الموجود بأيدي الناس، كما كانوا يوعزون الى شيعتهم أن يعتقدوا بمثل هذا الاعتقاد، ولقد وردت في هذه الروايات الثمانية عقيدة الأربعة من الأئمة علي بن أبي طالب، محمد الباقر، ابنه جعفر وأبي الحسن.

وقال في موضع آخر: «إن الشيعة كانوا يعتقدون التحريف في القرآن في الدور الأوّل، بما فيهم أئمة مذهبهم وواضعوا شرعتهم حسب مروياتهم، ولم يثبت عن واحد منهم أنّه كان يعتقد خلاف ذلك^(١).

(١) الشيعة والقرآن: ٣٤.

وقال صاحب الوشيعة: «وللأئمة مثل الباقر والصادق عليهما السلام، في تحريف الكتاب الكريم أيمان بالغة، ولهم في تكذيب ما ثبت في القرآن الكريم، والمصاحف على التواتر كلمات شديدة»^(١).

ثامناً: خلاصة الموقف الإسلامي من القرآن الكريم ولأجل التوصل الى تصور الموقف الإسلامي بطرفيه وبعيداً عن التخندق والتشّج، ولئلا نقع تحت قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾ الذين ظلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا^(٢)، وسعياً للبحث عن حقيقة هذه المسألة بالذات واستناداً الى التصريحات والروايات السابقة، نجد أنفسنا أمام حقيقة واحدة مشتركة لا غبار عليها، بأن الكل قد اتفقوا بأن هذا القرآن لم يتعرض الى التغيير والتبديل والنقص والزيادة، وهو الذي نزل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

(١) الوشيعة، موسى جارا الله: ٢٣، وقد تصدّى لأجوبة تلك الاتهامات الحاقدة، السيد ثامر العميدي في كتابه القيم: (دفاع عن الكافي) فراجع ٢: ٢٤٨.

(٢) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

نعم، إنّ التراث الحديثي الذي نقلته كتب الحديث والمناهج التي تعاملت مع تلك الأخبار الواردة فيها ، مضافاً لما فيها من الدس والتحريف والضعف كانت هي السبب في إيجاد هذا الارباك، وهذا لا يمكن الاستفادة منه كاعتراف بأنّ القرآن الكريم قد تحرّف كما هي الكتب السماوية الأخرى ، علماً أن أصحاب تلك الكتب كان الأكثر منهم بلحاظ النقل لا بلحاظ الاعتقاد فيما ينقلون، وعلى فرض وجود من يعتقد بأن القرآن الموجود محرّف، فهو لاء نواذر جداً لا يمثلون الطائفتين .

تاسعاً: موقف مدرسة أهل البيت من القرآن في عمقه

التاريخي

وأما إذا أردنا أن نتحرّى من جهة، وبسعة صدر واسعة لفهم منهج مدرسة أهل البيت عليه السلام وكيفية تعاملها مع التراث الإسلامي والدور التاريخي الذي لعبته في حماية الثقلين، لوجدناه منهجاً لا ينحصر في تلك الشبهة وردّها ، بل هناك منهج أوسع من ذلك له أبعاده وأهدافه وأساليبه ، وقد شهد له التاريخ، ولا يسعنا ذكر تفاصيله في هذا البحث المختصر . فكما تعرضت العقيدة الإسلامية الصافية الى التشويش

والانحراف والتلوث، فداخلها مثل فكرة التجسيم أو الحلول والاتحاد وفكرة الجبر والتفويض والإرجاء والبغض لآل محمد ﷺ والتناسخ وبروز تيارات منحرفة مثل الزندقة والغلاة، تعرض التفسير هو الآخر الى التشويش فطرحت مناهج وصيغ منحرفة في التعامل معه، وقد واجهتها مدرسة أهل البيت عليه السلام بقوة وثبات، وحافظوا على الصيغ الأصلية في فهم القرآن الكريم ومن جملة ما واجهوه :

أولاً: توظيف النصّ القرآني لخدمة الأهداف السياسية:

ونحاول أن نعطي مثلاً واحداً لهذه الحالة نختاره من أمثلة كثيرة يزخر بها تاريخ الأمة السياسي، والمثال الذي نضعه بين يدي القارئ هو «دور معاوية بن أبي سفيان» في توظيف النصوص القرآنية لخدمة أهدافه السياسية...

كان معاوية يؤمن تماماً أنّ سلطانه لا يملك مبرراته الشرعية، ويؤمن أيضاً أنّ الشعور العام في داخل الأمة لا يرتاح للحكم الأموي، فبدأ يضع خططه لمواجهة هذه الحالة التي تقلقه كثيراً، وتهدد نظامه وسلطانه.

ومن أهم الوسائل التي اعتمدها معاوية استخدام «سلاح الدين» ومن خلاله حاول أن يحقق الأهداف التالية:

١- إعطاء الشرعية لحكمه وسلطانه.

- ٢- تخدير الجماهير وشل روح الثورة في داخلها.
- ٣- إسقاط القوى المعارضة الرافضة لنظامه.
- وأبرز القوى التي وجدها تشكل خطراً على سلطانه، هم أهل البيت عليهم السلام، فسعى لتحطيم مواقعهم الروحية في ذهنية الأمة.
- إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه منه: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة ابن الزبير^(١).
- وتتحدث مصادر التاريخ أيضاً - وهذا مثال من أمثلة توظيف النص القرآني لخدمة الأهداف السياسية -:
- إنّ معاوية بذل للصحابي سمرة بن جندب أربعمئة ألف درهم على أن يروي أنّ هذه الآية:
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وإذا تولّى سعى في الأرض

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤: ٦٣ ط القاهرة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿١﴾. قد نزلت في علي ابن أبي طالب.

وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ ﴿٢﴾ فروى ذلك ﴿٣﴾.

ثانياً: توظيف النص القرآني لتأييد الاتجاهات المذهبية والكلامية والفلسفية:

حاولت بعض المذاهب والفرق والاتجاهات أن تلوي أعناق النصوص القرآنية لتأييد أفكارها وعقائدها ومتبنياتهما بلا شاهد من أثر صحيح، أو ظهور لفظي سليم، أو فهم عقلي مصيب.

وهذا المنحى في التعامل مع النص القرآني لون من ألوان التحريف لمعاني القرآن وشكل من أشكال التفسير الخاطئ لآيات الكتاب...

وقد ينشأ هذا المنحى نتيجة خلل في استخدام الأدوات المعتمدة في فهم القرآن وتفسير آياته، وربما يكون بدوافع

(١) البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤: ٦٣ ط القاهرة.

تحريفية مقصودة، فكثير من أصحاب المذاهب والنظريات أولوا القرآن لخدمة آرائهم وأهوائهم.

ومن أمثلة هذا اللون من التعامل مع النص القرآني:

١- حاول أصحاب «نظرية الشورى» في انتخاب الخليفة

بعد رسول الله ﷺ اعتماد قوله تعالى:

﴿وَأمرهم شورى﴾^(١) في تأييد هذه النظرية.

٢- حاول أصحاب «نظرية الجبر» اعتماد بعض

النصوص القرآنية لتأييد هذه النظرية، ومن تلك النصوص قوله تعالى:

﴿وَالله خلقكم وما تعملون﴾^(٢).

٣- نجد بعض الفلاسفة الإسلاميين يحاولون توجيه

وتفسير نصوص قرآنية على ضوء متبنياتهم وآرائهم، فالفارابي وضع بعض الآيات والحقائق الدينية بتعبير فلسفي محض^(٣).

ويكتب إخوان الصفا في رسائلهم وهم يتحدثون عن

(الجنة والنار):

(١) الشورى: ٣٨.

(٢) الصافات: ٩٦.

(٣) الدكتور حجتي: مجلة الثقافة الإسلامية: ١٤٨، العدد ١١: ١٤٠٧.

إنَّ الجَنَّةَ هي عبارة عن عالم الأفلاك، والنار عبارة عن العالم الموضوع تحت فلك القمر، يعني عالم الدنيا^(١). ويقول ابن سينا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٢). «القصد من العرش الفلك التاسع الذي يسمى فلك الأفلاك، والملائكة الثمانية - الذين يحملون عرش الإله - يعني الأفلاك الثمانية التي تقع تحت الفلك التاسع»^(٣). إلى غير ذلك من المحاولات التي تخضع النصوص لمتبنياتها بدلاً من أن تكون رؤاها وأفكارها من خلال النصوص، وتستوحي نظرياتها في ضوء المعطيات التي يحملها النص ودلالته اللغوية والعرفية والعقلية.

ثالثاً: الجمود في التعامل مع المعاني الحرفية للألفاظ القرآنية:

وهذا الاتجاه في فهم القرآن يلغي دور العقل، ويجمّد حالة التأمل والتدبر في الدلالات القرآنية بما تحمله من

(١) إخوان الصفا: الرسائل ١: ٩١ باقتضاب ط مصر.

(٢) الحاقة: ١٧.

(٣) ابن سينا: تسع رسائل: ٨٧ ط القسطنطينية.

مضامين قد تتجاوز المعاني الحرفية للألفاظ ، ثم إنَّ هذا الاتجاه يتغافل الصيغ التعبيرية البلاغية المجازية في لغة القرآن.

وعلى ضوء هذا اللون من التعامل مع نصوص القرآن، تكونت مجموعة تصورات ومعتقدات خاطئة، أنتجت حالة الجمود في فهم الألفاظ القرآنية:

١ - عقيدة التجسيم والتشبيه:

أفرزتها الرؤية الجامدة في فهم بعض النصوص القرآنية مثل:

أ - قوله تعالى:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١).

ب - قوله تعالى:

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢).

ج - وقوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣).

٢ - عقيدة الرؤية:

(١) الفتح: ١٠.

(٢) الرحمن: ٢٧.

(٣) طه: ٥.

القائلون بإمكان رؤية الله عياناً، وقد اعتمدت هذه العقيدة ظواهر بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١).

٣- الاعتقاد بصدور المعاصي والذنوب من الأنبياء ﷺ اعتماداً على التعامل الحرفي مع الألفاظ القرآنية في بعض النصوص والآيات:

أ- مثل قوله تعالى:

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾^(٢).

ب- وقوله تعالى:

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾^(٣).

ج- وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٤).

وقد عالج هذه الآيات القرآنية ونظائرها، علماء وباحثون في مدرسة أهل البيت ﷺ، وأعطوها دلالاتها المقبولة بما يتناسب مع موقع النبوة، وقداسة الأنبياء ﷺ. معتمدين

(١) القيامة: ٢٢- ٢٣.

(٢) طه: ١٢١.

(٣) الضحى: ٧.

(٤) يوسف: ٢٤.

في لك:

أ- الأحاديث الصحيحة الثابتة...

ب- القرائن اللفظية الواضحة...

ج- المعاني اللغوية للمفردات...

د- المباني العقلية المسلّمة...

ومن أراد التعرف على هذه الأمور مفصلاً بامكانه
مراجعة كتاب «تنزيه الأنبياء والأئمة» للسيد المرتضى.

رابعاً: التأويلات الباطنية الفاسدة:

توجد صيغتان للتأويل القرآني:

الأولى: الصيغة التي تعتمد الأدوات الصحيحة في تأويل
النص القرآني ، وذلك من خلال الرجوع الى الأحاديث
الواردة عن رسول الله ﷺ وعن أهل بيته عليه السلام ، باعتبارهم
العارفين بتأويل القرآن...

قال الإمام الباقر عليه السلام :

«أفضل الراسخين في العلم رسول الله ﷺ ، قد علم جميع
ما أنزل الله في القرآن من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه
شيئاً لم يعلمه تأويله»^(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

(١) البحار ٢٣: ١٩٢ باب ١٠ ح ١٥ ط ايران.

«إِنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهَ التَّنْزِيلَ وَالتَّوِيلَ، فَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَّمَنَا وَاللَّهُ»^(١). وقال عليه السلام:

«نحن الراسخون في العلم، فنحن نعلم تأويله»^(٢).

الثانية: الصيغة التي لا تعتمد الأدوات الصحيحة في تأويل النص القرآني، كما نجد ذلك عند جماعة من المتصوفة حيث توغلوا في التأويلات الباطنية بلا حجة ولا دليل، ومن تأويلاتهم الفاسدة:

١ - تأويلهم لقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

حيث قالوا: إنّ إبراهيم هو العقل، وأنّ إسماعيل هو النفس وأنّ العقل هنا كان ينوي قتل النفس^(٤).

٢ - تأويل محيي الدين بن عربي لقوله تعالى:

(١) بحار الأنوار ٢٦: ١٧٣ باب ١٢ ح ٤٣.

(٢) المصدر السابق ٤٣: ١٨٢ ح ٤٩.

(٣) الصافات: ١٠٢.

(٤) تفسير القرآن: ابن عربي ٢: ١٦٦ ط بيروت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾^(١).

أي حجبوا عن تجليات صفاتنا وأفعالنا إذ مطلع الآية كونه متجلياً بالعلم والحكمة والملك في آل إبراهيم ﴿سوف نصليهم﴾ نار شوق الكمال لاقتضاء غرائزهم وطبائعهم بحسب استعدادهم ذلك مع رسوخ الحجاب ولزومه، أو نار قهر من تجليات صفات قهره تناسب أحوالهم، أو نار شره نفوسهم وحدة شوقها وطلبها لما ضربت بها في كمالات صفاتها وشهواتها مع حرمانها عنها ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ رفعت حجبهم الجسمانية بانسلاخهم عنها ﴿بدّلناهم﴾ حجباً غيرها جديدة ﴿ليذوقوا العذاب﴾ نيران الحرمان^(٢).

خامساً: تفسير القرآن بالرأي:

وهو الذي لا يعتمد أحد المرتكزات التالية:

- ١- الأحاديث والروايات الصحيحة الصادرة عن النبي ﷺ، أو أحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.
- ٢- الأحكام العقلية الفطرية الأولية.
- ٣- الظهور اللفظي الثابت في لغة العرب الفصحى^(٣).

(١) النساء: ٥٦.

(٢) تفسير القرآن، محيي الدين بن عربي ١: ١٥٢ ط بيروت.

(٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي: ٥٠٥ ط بيروت.

فإذا لم يعتمد التفسير واحداً من هذه المرتكزات فهو من التفسير بالرأي المنهي عنه، كما جاء في حديث الرسول ﷺ :

«من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

وفي حديث آخر عنه ﷺ :

«فأما من قال في القرآن برأيه، فإن اتفق له مصادفة صواب، فقد جهل في أخذه عن غير أهله، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار»^(٢).

وما أوردناه من الحالات السابقة هي من ألوان التفسير بالرأي المنهي عنه، لأنها لا تعتمد الأدوات الصالحة في فهم النص القرآني المنزل من الله عز وجل.

سادساً: اعتماد الروايات الإسرائيلية في تفسير القرآن:

في مجتمع المدينة المنورة كان يعيش عدد كبير من اليهود، وقد اعتنق البعض من هؤلاء اليهود الرسالة الجديدة ودخلوا الإسلام بدوافع متعددة منها:

١ - للكيد للرسالة من داخلها.

٢ - الحفاظ على المصالح المادية والاجتماعية في ظل

(١) البحار ٢٢٣:٣ باب ٦ ح ١٤ ط إيران.

(٢) وسائل الشيعة ١٨:١٩ ط طهران.

الوضع الجديد.

٣- الخوف الذي ضغط على البعض وأجأهم الى اظهار الانتماء الى الإسلام.

٤- وربما يكون البعض صادقاً في إسلامه.

فنجد ضمن الدوافع محاولة التحرك من الداخل لمواجهة الرسالة، واجهاض الدعوة، وفي اتجاه تحقيق هذا الهدف، مارسوا أساليب الدس والتشويه وإرباك الرؤية الإسلامية سواء على مستوى العقيدة، أو الأخلاق أو الأحكام الفقهية أو الآراء التفسيرية.

وهكذا تسربت بعض الرؤى اليهودية، والخرافات الإسرائيلية الى بعض التفاسير القرآنية من خلال عدة قنوات: أ- الدس المباشر من قبل شخصيات يهودية أظهرت انتماءها للإسلام، وحظيت بمكانة كبيرة عند المسلمين خاصة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب، وأيام الخليفة عثمان بن عفان...

ب- توظيف عناصر مشبوهة في داخل الساحة الإسلامية، وبذلك التأمّت وتوافقت أهداف اليهود وجهود المنافقين والحاquدين على الرسالة الذين يشكلون نسبة ليست عادية في داخل الأمة... ولعلنا من خلال الآيات

القرآنية التي تناولت ظاهرة النفاق والمنافقين، نستطيع أن نتبين حجم هذا الوجود المشبوه في مجتمع المسلمين. وقد استفادت العناصر اليهودية المتسللة من ذلك الوجود المشبوه المعادي للرسالة ووظفته لصالح أهدافها الفاسدة.

ج- التأثير غير الواعي من قبل بعض العناصر الإسلامية، التي أحسنت الظن في عدد من اليهود والنصارى الذين أظهروا تفاعلهم مع الإسلام، وأبدوا نسبة كبيرة من الحماس تجاه العقيدة الجديدة، وأخذوا يدافعون ظاهراً عن الرسالة وأهدافها، مما هيأ لهم أجواء ملائمة للتحرك، والنفوذ إلى نفسية الأمة، وقد وقر لهم ذلك إمكانية الاستفادة من بعض الوجودات الإسلامية التي لم تستوعب هذا الدور وأهدافه. سابعاً: تأثر التفاسير بالمنقولات اليهودية:

يعلل بعض الباحثين السبب في رواج المنقولات المستقاة من أهل الكتاب في تفاسير المسلمين: إنَّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنَّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم

ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذٍ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير^(١) الذين أخذوا بدين اليهودية، فلمّا أسلموا بقوا على ما كان عندهم ممّا لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله ابن سلام وأمثالهم. فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست ممّا يرجع الى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك^(٢).

(١) حمير: بطن عظيم من القحطانية، ينتسب الى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن بلاد حمير في اليمن، وأما أديان حمير فانتشرت اليهودية فيهم، وكانوا يعبدون الشمس، وكان لحمير بيت بصنعاء يقال له: رثام، يعظمونه، ويتقربون عنده بالذبائح. عن عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب ١: ٣٠٤ ط بيروت.

(٢) المقدمة، ابن خلدون: ٥٥٥ ط بيروت.

وهكذا دخلت الثقافة الإسرائيلية في فكر المسلمين وصبغته في جانب منه بلونها، ومن هنا انتشر بمدرسة الخلفاء الاعتقاد بأن الله جسم، وأن الأنبياء تصدر منهم المعاصي، والنظرة الى المبدأ والمعاد، الى غيرها من أفكار إسرائيلية^(١). ونحاول هنا أن نعطي صورة موجزة للتعريف ببعض الكوادر من أهل الكتاب الذين برزوا في تاريخ المسلمين:

١- كعب الأخبار:

كان من أحبار اليهود، أظهر الإسلام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب وطلب منه عمر البقاء في المدينة، ولما ظهرت بوادر الثورة على عثمان ارتحل الى الشام، فاستصفاه معاوية وجعله من مستشاريه، ومات بحمص سنة ٣٢ أو ٣٤ أو ٣٨ للهجرة.

وبواسطة كعب وأمثاله تسربت الى الحديث طائفة من أقاصيص التلمود - الإسرائيلية - التي أصبحت جزءاً من الأخبار الدينية والتاريخية.

كان بعض الصحابة يسألونه عن مبدأ الخلق، وقضايا المعاد، وتفسير القرآن، وروى عنه عدة من الصحابة والتابعين أمثال: أنس بن مالك، وأبي هريرة، ومعاوية،

(١) معالم المدرستين، العسكري ٤٨:٢ ط طهران.

وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وأسلم مولى عمر، وعطاء بن يسار وغيرهم، وقد روى له الترمذي وأبو داود والنسائي في صحاحهم وسننهم^(١).

٢- تميم بن أوس الدارمي:

كان راهباً نصرانياً، قدم المدينة بعد غزوة تبوك، وأظهر الإسلام، وفي عصر الخليفة عمر قرّبه وألحقه بأهل بدر في العطاء، وخصص له ساعة في كل اسبوع يتحدث فيها قبل صلاة الجمعة بمسجد الرسول ﷺ، وجعلها عثمان على عهده ساعتين في يومين.

قد بلغ من ثقة الخليفة عمر به أن عيّنه إماماً يصلي بالناس صلاة التراويح، وبقي تميم الدارمي في المدينة الى أن قتل عثمان، فانتقل الى الشام وعاش في كنف معاوية، ومات سنة أربعين للهجرة، وروى عنه جماعة من الصحابة، أمثال: أنس بن مالك، وأبي هريرة ومعاوية^(٢).

٣- وهب بن منبه:

كان فارسي الأصل، هاجر جده الى اليمن، وهناك أخذ آباؤه آداب اليهود وتقاليدهم، وقيل: إنّ والده منبهاً قد أسلم

(١) اللؤلؤ ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل ٥٢١:٢ ط المكتب الإسلامي.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور ٣٠٧:٥ ط دمشق.

في اليمن، وأنّ ابنه وهباً كان يختلف من بعده الى بلاده بعد فتحها.

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ:

إنّه عالم أهل اليمن ولد سنة ٣٤ هـ .

أدرك بعض الصحابة وروى عنهم، كما روى عنه كثير من الصحابة ، منهم: أبو هريرة، وعبدالله بن عمر. ومن أقواله:

إني قرأت من كتب الله ٧٢ كتاباً^(١).

أمثلة من المنقولات الإسرائيلية في تفاسير المسلمين

١ - ذكر القرطبي في تفسير سورة غافر عن خالد بن معان عن كعب أنّه قال:

لما خلق الله العرش قال:

لم يخلق الله أعظم مني واهتز تعاضماً، فطوقه الله تعالى بحية لها سبعون ألف جناح، في كل جناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان، يخرج من أفواهها كل يوم من

(١) ميزان الاعتدال، الذهبي ٤: ٣٥٢ ط حلب، أضواء على السنة المحمدية، أبو رية: ١٤٩ - ١٥٠ ط بيروت.

التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى، وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، والتَّوَت الحَيَّة على العرش، فالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية عليه، فتواضع عند ذلك^(١).

٢- قال معاوية لكعب:

أنت تقول إنّ ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب:

إن كنت قلت ذلك فإنّ الله قال:
﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾^(٢).

٣- وقال كعب:

الأرضون السبع على صخرة ، والصخرة في كف ملك، والملك على جناح الحوت، والحوت في الماء، والماء على الريح، والريح على الهواء، ريح عقيم لا تلقح، وإنّ قرونها معلقة في العرش^(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٨٢:١٥ ط القاهرة.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٠٦:٣ ط بيروت.

(٣) أضواء على السنّة المحمدية، ابو رية: ١٥٨-١٥٩ ط بيروت.

نتيجة البحث

لقد ثبت من خلال استقصاء الأدلة الشرعية والتاريخية بالإضافة إلى ما تفرضه طبيعة الأشياء، أن القرآن الكريم قد تمتع بعوامل وقائية وحصانة ذاتية وموضوعية تؤكد سلامته من التحريف على مدى القرون السالفة، وذلك بفعل كونه النبع الأساس لكيان الأمة ولوجودها السياسي والثقافي والعقدي.

وبهذا سيطر القرآن الكريم على مشاعر الأمة واحتوى تفاصيل حركتها وأغناها بالفكر الإلهي الجديد، وهذا الالتصاق والاعتزاز الفكري والحياتي دفع بالإنسان المسلم آنذاك لأن يتحدى كل دخيل أو مُلابس للقرآن الكريم.

كما تميز القرآن دون غيره من الكتب السماوية بعامل حصانة غيبي باعتباره المعجزة الخالدة للرسالة الإسلامية الخاتمة، وذلك بتدخل يد القدرة الإلهية في حفظه مادام نصاً معجزاً يتحدى البشرية على مدى القرون والأجيال.

مضافاً للجهد الذي بذله الرسول ﷺ من هذه الناحية، من حيث الاهتمام بتلاوته وحفظه، وقد كان ﷺ يعرض ما في صدره على ما في صدور الحفظة الذين كانوا أكثر، وكان أصحاب المصاحف منهم يعرضون القرآن على النبي ﷺ

حتى تكملت جهوده بجمعه ضمن قراطيس وعلى الألواح والجلود وعسب النخيل من أوله الى آخره. الى جانب إيكال أمر رعايته بشكل خاص الى أهل بيته وعترته الطاهرة من كل رجس ودنس.

وقام المسلمون من بعد وفاة النبي ﷺ بأروع دور حيث أتقنوا حمايته وحراسته ورصدوا كل محاولة من شأنها المساس بنص القرآن الكريم كما هي قصة حذف الواو. وجاءت السنة الشريفة بتواترها وبكثرة حثها، لتؤكد سلامة القرآن وتشهد على سلامته من التحريف عن طريق تثبيتها لمرجعية القرآن الكريم ودعوتها الأمة وعلماءها الى ارجاع الروايات المشكوكة في صدورها ومضامينها الى القرآن الكريم، وعرضها على نصوصه ومقارنتها بها إنطلاقاً من الإيمان بحاكميته عليها.

وبهذا لا يبقى مجال لحديث التحريف الذي زعم البعض وقوعه أو احتمال وقوعه في القرآن ، والذي أصبح في نظر علماء الطائفتين من الأساطير الخرافية التي لا طائل من البحث وراءها.

وقد صرح بهذا عامة علماء المدرستين قديماً وحديثاً وهاجموا كل من قال به، كما ذكرنا ذلك في طيات البحث.

والمتتبع للموقف الإسلامي إزاء الروايات التي تنقلها كتب الحديث، والتي قد يفهم منها احتمال وقوع التحريف في القرآن يجد الموقف الإسلامي واضحاً تجاهها، فلا يؤمن بها إلا الاتجاه المتطرف الذي يرى صحة صدور كل ما جاء في كتب الصحاح أو كل كتب الحديث غثها وسمينها، وهذا الاتجاه لا يتعامل بموضوعية مع كتب الحديث، كما هو منهج علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالنسبة لكل كتب الحديث والتي منها كتبهم التي اعتنوا بها أيما اعتناء، فهو يدين هذه النصوص المروية تارةً من حيث أسنادها وأخرى من حيث دلالتها على التحريف.

وبهذا يتضح زيف الجهود القديمة والحديثة، الخفية منها والظاهرة، التي تقف وراء إثارة هذه الفتنة وإصاقتها بالمسلمين، أو ببعض مذاهبهم تحت شعار حفظ المذهب، أو الموضوعية في التحقيق في مجال تاريخ الإسلام والمسلمين.

وصدق الله العظيم، حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

ومن جهة أخرى فلو تجاوزنا الفهم المحدود وفتشنا

(١) سورة الحجر: ٩.

بدقة، لا تضح لنا ضخامة الدور التاريخي الذي لعبته مدرسة أهل البيت عليهم السلام، في تطويرها للبحث القرآني وحمايته، انطلاقاً من الأسس والقواعد التي خطّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكيف تصدّت مدرستهم بوجه تلك التيارات، التي ولّدتها الظروف السياسية، وما جاءت به من مناهج وصيغ دخيلة لفهم القرآن، كالتّي وظّفت النصّ القرآني لصالح بعض المذاهب الكلامية، أو الفلسفية المتطرفة، أو خدمة للسياسة الحاكمة.

الفهرس

| | |
|---|----|
| كلمة المجمع | ٧ |
| الموقف الإسلامي | ١١ |
| من أسطورة تحريف القرآن الكريم | ١١ |
| مقدمة | ١١ |
| القسم الأول: عوامل صيانة القرآن من التحريف | ١٣ |
| أولاً: مستوى علاقة الأمة بالقرآن | ١٣ |
| ثانياً: التصدي الإلهي لحفظ القرآن وصيافته من التحريف | ١٥ |
| ثالثاً: تصدي الرسول ﷺ لصيانة القرآن من التحريف | ٢٠ |
| رابعاً: السنة النبوية تؤكد سلامة القرآن من التحريف | ٢٤ |
| خامساً: حراسة المسلمين ودقتهم في حفظ القرآن الكريم | ٢٦ |
| القسم الثاني: أسطورة تحريف القرآن الكريم | ٢٩ |
| أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للتحريف: | ٢٩ |
| ثانياً: تصريحات علماء المسلمين بسلامة القرآن من التحريف | ٣٢ |
| ثالثاً: المذاهب الإسلامية تنفي التحريف أيضاً | ٤٦ |
| رابعاً: نماذج من روايات التحريف في كتب أهل السنة | ٥٤ |
| خامساً: نماذج من الروايات الموجودة في كتب الإمامية | ٧٤ |

| | |
|---|-----------|
| سادساً: تصريحات أئمة أهل البيت: وحثّهم على | |
| الارتباط بالقرآن الموجود | ٨٢ |
| سابعاً: البؤر المعادية التي تقف وراء إثارة شبهة التحريف | ٩٠ .. |
| ثامناً: خلاصة الموقف الإسلامي من القرآن الكريم | ١٠١ ... |
| تاسعاً: موقف مدرسة أهل البيت من القرآن في عمقه التاريخي | ١٠٢ |
| أمثلة من المنقولات الإسرائيلية في تفاسير المسلمين | ١١٩ .. |
| نتيجة البحث | ١٢١ |
| الفهرس | ١٢٥ |